ندوات المخبر

سلسلة كتب ندوات معرفية محكمة تعنى بقضايا النقد ومصطلحاته
تصدر عن مخبر النقد ومصطلحاته - كلية الآداب واللغات - جامعة قاصدي مرباح ورقلة

أعمال الندوة الوطنية الافتراضية:

المهدات المصطلحية للتمييز بين اللغة وكيفية استعمالها

دراسة نقدية لسانية في إطار النظرية الخليلية
لعبد الرحمن الحاج صالح

إشراف وتنسيق:

أ.د حسين دحو

مدير مخبر النقد ومصطلحاته

الكتاب الثاني/ شعبان 1442هـ/ مارس 2021

إيداع قانوني رقم: 6-06-806-9931-978 / السداسي الأول 2021

ندوات المخبر

المهدات المصطلحية للتمييز بين اللغة وكيفية استعمالها

تعنى كتب هذه الندوات المعرفية المحكمة الفصلية التي تصدر عن مخبر النقد ومصطلحاته بكلية الآداب واللغات بجامعة ورقلة، تعنى بالدراسات التي محورها النقد في اللغة والأدب خصوصا، والدراسات المرادفة للدراسات اللغوية والأدبية عموما، لذلك؛ فكل ما موضوعه النقد تهتم به هذه الكتب من أجل تنمية ملكة التفكير والإبداع، وتمحيص وتدقيق المسائل العلمية.

وعليه ستسعى هذه الكتب إلى نشر البحوث التي جوهرها النقد في الدراسات الآتية:

- الدراسات اللغوية
- الدراسات الأدبية
- الدراسات المصطلحية

ندوات المخبر

سلسلة كتب ندوات معرفية محكمة تصدر عن مخبر النقد ومصطلحاته

كلية الآداب واللغات ـ جامعة قاصدي مرباح ورقلة

مدير السلسلة

أ.د حسين دحو ـ مدير المخبر

رئيس التحرير

أ.د حسين زعطوط

هيئة التحرير

أ.د العيد جلولي — أ.د فوضيل دحو

أ.د عبد الحميد هيمة — أ.د حسين زعطوط

د أحمد التيجاني سي كبير

ر.د.م.ك: 978-9931-806-06-6 **ISBN**

السداسي الأول 2021

مطبعة بن سالم للطباعة والنشر ـ الأغواط

هاتف: 029.14.21.70

Gourine83@yahoo.fr

حقوق التأليف محفوظة.

الكتاب الثاني

أعمال الندوة الوطنية الافتراضية

المعهدات المصطلحية للتمييز بين اللغة وكيفية استعمالها

دراسة نقدية لسانية في إطار النظرية الخليلية لعبد الرحمن الحاج صالح

عقدت يوم 10 شعبان 1442هـ / 23 مارس 2021م

إشراف وتنسيق:

أ.د حسين رحو

الهيئة العلمية الاستشارية للندوة

أ.د حسين رحو (الجزائر) — د.إبراهيم طلبشي (الجزائر)

أ.د العيد جلولي (الجزائر) — د.هنية عريف (الجزائر)

أ.د حسين زعطوط (الجزائر) — د. محمد الصالح بوعافية (الجزائر)

أ.د بوبكر حسيني (الجزائر)

ر.د.م.ك: 978-9931-806-06-6 ISBN

السداسي الأول 2021

الكتاب الثاني | 2021

مارس/شعبان 1442هـ

الفهرس

افتتاحية الكتاب
أ. د حسين دحو (مدير المخبر)

كلمة رئيس الندوة
أ.د حسين زعطوط

01 نظرية الوضع والاستعمال في فكر "عبد الرحمن الحاج صالح" من خلال النظرية الخليلية الحديثة
سعيدة رحامنية: طالبة دكتوراه (جامعة قالمة ـ الجزائر)
يوسف بغدادي: طالب دكتوراه (جامعة ورقلة ـ الجزائر)

10 المهدات المصطلحية وأهميتها في الاكتساب اللغوي عند العرب
د. آمنة مناع (مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية بالجزائر ـ وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة العربية بالجزائر (ورقلة) ـ الجزائر)

29 المدرسة الخليلية الحديثة و المعالجة الآلية للغة العربية من منظور عبد الرحمان الحاج صالح
حليمة بن سكيريفة: طالبة دكتوراه/ أ.د حسين دحو(جامعة ورقلة ـ الجزائر)

40 التأصيل التراثي للمصطلح اللّساني الحاسوبي عند عبد الرّحمن الحاج صالح
نسرين صايفي: طالبة دكتوراه/ د. هنية عريف(جامعة ورقلة ـ الجزائر)

53 مفهوما التحليل والتحويل بين النظرية الخليلية والنظرية التوليدية التحويلية
د.مبارك رعاش(جامعة الجزائر 02 ـ الجزائر)
د.حاج أوباح(جامعة الجلفة ـ الجزائر)

62 دراسة مفاهيمية للغة المشافهة في ضوء النظرية الخليلية
محمد الأمين هراكي: طالب دكتوراه/ أ.د مباركة خمقاني (جامعة ورقلة ـ الجزائر)

74 مصطلحات ومفاهيم أساسية في النظرية الخليلية لعبد الرحمان الحاج صالح
سهام بن ريغي: طالبة دكتوراه/ أ.د إسماعيل سيبوكر (جامعة ورقلة ـ الجزائر)

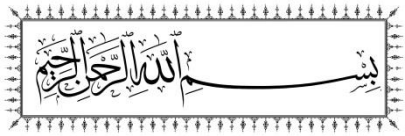

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وبعد:

تعنى كتب هذه الندوات المعرفية المحكمة الفصلية التي تصدر عن مخبر النقد ومصطلحاته بكلية الآداب واللغات بجامعة ورقلة، تعنى بالدراسات التي محورها النقد في اللغة والأدب خصوصا، والدراسات المرادفة للدراسات اللغوية والأدبية عموما، لذلك؛ فكل ما موضوعه النقد تهتم به هذه الكتب من أجل تنمية ملكة التفكير والإبداع، وتمحيص وتدقيق المسائل العلمية. إذ تسعى هذه الكتب إلى نشر البحوث التي جوهرها النقد في الدراسات اللغوية والدراسات الأدبية والدراسات المصطلحية.

ولسنا في مخبر النقد ومصطلحاته؛ ممن يدعي السبق أو ينسب إليه الفضل والتميز في محاولة طرق ومعالجة أزمة النقد العربي منهجا وخطابا، بل نروم السعي الحثيث لنثري حقل البحوث العلمية الرصينة المشتغلة بالنقد العربي؛ اهتماما وعناية من أجل تأثيثه والتنظير له بما يسمح أن تؤسس الدراسات النقدية النظرية والتحليلية لمرجعية معاصرة للنقد العربي، تضمن للباحث المبتدئ والمتلقي الناشئ أيسر السبل في التعامل مع نصوص الأجناس الأدبية المختلفة.

وتترك هيئة التحرير للقارئ والمتلقي اكتشاف مضامين هذا الكتاب الثاني المتمثلة في جملة من الأوراق البحثية التخصصية الرصينة، التي تسترعي اهتمام القارئ والناقد وتثير فضولهما بالكثير من التساؤلات التي تبحث في قضية الممهدات المصطلحية للتمييز بين

اللغة وكيفية استعمالها، بالبحث والتحليل في النظرية الخليلية لعبد الرحمن الحاج صالح، آملين أن نكون قد وفقنا في إصدار وإخراج هذا الكتاب الثاني من سلسة كتب الندوات المعرفية المحكمة لمخبر النقد ومصطلحاته، والتي لن ترتقي إلا بملاحظات قرائها وتوجيهاتهم وتصويباتهم، وعلى الله قصد السبيل.

ورقلة في: 01 شعبان 1442هـ الموافق لـ: 14 مارس 2021م

مدير السلسلة

أ.د حسين دحو

كلمة رئيس الندوة

سعيا لفهم الجوانب الأساسيّة للنّظريّة الخليليّة التي أسّسها العلاّمة اللغوي الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح والتي طرح فيها مصطلحات مفاهيميّة لغويّة كثيرة ومتنوّعة، كان لزاما أن ننشئ ندوات متتالية نتناول فيها المفاهيم الأصليّة والأساسيّة لهذه النّظرية. والهدف من ذلك بيان النقد اللساني المنهجي العلميّ اللغوي لعبد الرحمان الحاج صالح القائم على البحث الجاد والدقيق في مصطلحات التراث اللغوي وتوجيهه حسب ما يناسب اللغة والفكر والمفاهيم اللسانية العربيّة ونظيراتها المستحدثة في اللسانيات الغربيّة، والغرض من ذلك أيضا كشف اللثام على الرؤية النقديّة اللسانيّة التي اعتمدها عبد الرحمان الحاج صالح من أجل الحفاظ على خصوصيّة اللغة العربيّة مع مواكبة المفاهيم اللسانيّة الجديدة المستحدثة، وأيضا الوقوف العملي على خصوصيات هذه الرؤية النقديّة اللسانية التي اعتمدها لدرء عدم فهم المقصود من المصطلحات اللسانيّة التي قرّرها الأوائل وحملها على المصطلحات اللسانية الحديثة حملا لا تطابق فيه أدى إلى تشويه المقصود من المصطلحات اللسانية العربيّة التراثية، وأيضا لتصويب رأي من أعلن القطيعة مع المصطلحات اللغوية التراثية على اعتبار أنّ مصطلحات البحث اللساني الحديث لا علاقة له بمصطلحات اللسانيات العربية التراثية وفي ذلك قال الحاج صالح : « **وقد حاولنا منذ ما يقرب من ثلاثين سنة أن نحلل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص ميدان اللغة، وبخاصة ما تركه لنا سيبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية وكل ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصلت إليه اللسانيات الغربية. وكانت النتيجة أن تكون مع مرور الزمان فريق من الباحثين** ». وسنشرع في أولّ هذه الندوات للتّطرّق

للممهدات المصطلحية للتمييز بين اللغة وكيفيّة استعمالها: دراسة نقدية لسانيّة_في إطار النظرية الخليلية لعبد الرحمان الحاج صالح .

واخترنا أوليّة هذا المصطلح المفاهيمي على غيره لأنّ النظريّة الخليلية تنطلق_في رصد مفاهيمها من التمييز بين اللغة وكيفيّة استعمالها_في التّخاطب، وللوقوف على التمايز بين الأوصاف الموضوعيّة للغة والأوصاف الموضوعيّة للتخاطب أو الكلام . وللكشف عن الرصد المفاهيمي لمصطلحي اللغة والتخاطب_في إطار النقد اللساني ضمن النظريّة الخليليّة لعبد الرحمان الحاج صالح.

وعليه تعالج الندوة المحاور الآتية :

❶ مفهوم الممهدات المصطلحيّة وأهميّتها_في رصد المفاهيم العلميّة لدى كلّ العلوم .

❷ التعريف بالنظريّة الخليليّة : المنطلقات والمفاهيم والنتائج .

❸ مفهوم المصطلح الممهّد (السّلامة اللغوية) والنظرة اللسانيّة النقديّة المفاهيميّة له_في ضوء النظرية الخليليّة .

❹ الفرق المصطلحي التمهيدي بين فصاحة البلاغة وفصاحة اللغة_في إطار تمايزهما النقدي اللساني_في ضوء النظرية الخليليّة .

❺ الرصد التمهيدي المصطلحي للتقابل المفاهيمي بين مصطلح اللغة والكلام ومصطلح الوضع والاستعمال_في ضوء النظرية الخليليّة .

❻ الضبط المصطلحي التمهيدي للتعدّد المفاهيمي لمصطلح الكلام والنظرة النقديّة اللسانية له من حيث التقارب والتّباعد _في ضوء النظرية الخليليّة .

❼المدلولات المصطلحية التمهيديّة العامّة والخاصّة للخطاب في ضوء النظرية الخليليّة .

و لقد لاحظنا أن جلّ الأوراق البحثية ركون على محور واحد وهو التعريف بالنظرية الخليلية لدى عبد الرحمان حاج صالح، إذ جاءت في متنها على نمط واحد شكلا ومضمونا، رغم أنّ المحاور المهمة التي تخدم موضوع الندوة لم تعالجها إلاّ ست أوراق بحثية، لذلك اكتفينا بها وحسب، وألغينا محور التعريف بالنظرية الخليلية، وحسبنا في ذلك تقديم ما اعتقدناه يليق ويزيد في سموق الباحث اللساني عموما وعبد الرحمان الحاج صالح خصوصا، خدمة للبحث اللساني في الوطن العربي، والله من وراء القصد.

رئيس اللجنة العلمية للندوة

أ.د حسين زعطوط

نظرية الوضع والاستعمال في فكر "عبد الرحمن الحاج صالح" من خلال النظرية الخليلية الحديثة.

The theory of status and use in the thought abd al-rahman al-Hadj Salih through the modern theory of hebron

رحامنية سعيدة ـ طالبة دكتوراه
مخبر الدراسات اللغوية والأدبية
جامعة قالمة
يوسف بغدادي ـ طالب دكتوراه
مخبر النقد ومصطلحاته
جامعة ورقلة.
noussarahmene24@gmail.com

الملخص:

إنّ من أبرز الأعمال في اللسانيات العربية ما قدّمه اللساني الجزائري (الحاج صالح) الذي تبنى نظرية أصيلة؛ هي النظرية الخليلية الحديثة، كونها قراءة جديدة للتراث النحوي العربي من منظار علمي بعيداً عن التعسف والاستنطاق، ومن أهم المبادئ التي تنص عليها مبحثي الوضع والاستعمال، وانطلاقًا من هذه المعاني يروم البحث إلى الوقوف عند مصطلحي الوضع والاستعمال لأجل الإجابة على الإشكالية التالية: كيف كانت قراءة الحاج صالح لمسألة الوضع والاستعمال؟ وهل اختلفت نظرته عن سابقيه من العلماء؟ وما هي أغلب المفهومات التي عالجها ضمن طرحه العلمي؟

الكلمات المفتاحية: الوضع، الاستعمال، النظرية، اللسان، اللغة.

Abstract:
one of the most prominent works in Arabic is that of the Algerian lexicon El Hadj Saleh, who adopted an authentic theory; Anew reading of the Arabic grammatical heritage is the modern heuristic theory, which is a new reading of the Arabic grammatical heritage from a scientific perspective that is from abuse and interrogation. One of the most important principles of the research into the terms of status and use is designed to respond to the following problems: How was the pilgrim reading relevant to the issue of status and use? And did his eyesight differ from his previous scientists? And what were most of the concepts he addressed within his scientific presentation.

Key words: status, usage, theory, tongue, language

1_ مقدمة:

تعد النظرية الخليلية الحديثة من أبرز أعمال عبد الرحمن الحاج صالح؛ وهي قراءة جديدة للتراث النحوي العربي. سعيًا منه لأجل النهوض بهذا الأخير وإحيائه مستفيدًا من الإنجازات العلمية التي جاءت بها اللسانيات فضلًا عن تحويله إلى إنجاز علمي مفيد يُسهم في مشروع ترقية اللغة العربية، وتطويرها لأجل مواكبة العصر وتطوراته.

2_ أهميتها:

_ التنبيه إلى أبرز الشخصيات الفذّة في تاريخ الفكر اللغوي العربي القديم.

_ وضع مصطلحات مستحدثة وإحياء أخرى وتفسيرها الدقيق لكثير من المفهومات النحوية والبلاغية التي استعصى فهمها على كثير من الباحثين.

_ تبيين أنّ المفهومات والمبادئ التي تأسست عليها هذه النظرية ليست غربية أو دخيلة على الدرس اللغوي العربي كما يزعم بعض المفتنون بالغرب ومناهجه.[1]

تبنى العلماء العرب وفي مقدمتهم الخليل بن أحمد الفراهيدي في تحليلهم للظاهرة اللغوية عددًا من المفهومات والمبادئ اللغوية[2] التي تسعى إلى تفسير مختلف العلاقات المعقدة الكامنة ضمن اللغة، ومن أهم هذه المبادئ نُلفي المبحثين التاليين:

3_ الوضع والاستعمال:

أ_ الوضع لغة: يقول ابن منظور في (لسان العرب) عن الوضع بأنّه "ضد الرفعة، وضعه، يضعه وضعًا وموضوعًا والموضع: اسم المكان؛ وهو مصدر قولك: وضعتُ الشيء من يدي وضعًا وموضوعًا. ووضع الشيء من يده يضعه وضعًا إذا ألقاه، والوضعة: الحطيطة. وقد استوضع منه إذا استحطّ، ووضع الشيء وضعًا اختلقه. وتواضع القوم على الشيء اتّفقوا عليه وأوضعته في الأمر إذا وافقته فيه على شيء"[3]

حسب تعريف ابن منظور للوضع يتّضح أنّه اختلاق الشيء والاتفاق عليه.

ب_ اصطلاحًا: لمصطلح الوضع مفهومات متعددة أهمها ما قال به الشريف الجرجاني_في (التعريفات) "بأنّه تخصيص شيء بشيء من أطلق أو أحسّ الشيء الأول فُهم منه الشيء الثاني والمراد بالإطلاق استعمال اللفظ وإرادة المعنى. والإحساس استعمال اللفظ أعمّ من أن يكون فيه إرادة المعنى أولًا"[4]

إنّ اللغة_في نظر الحاج صالح وضع واستعمال، حيث إنّها نظام من الأدلة المتواضع والمتفق عليه؛ وهي نظام ينظر فيه الباحث ويفكر_في كيفية استخدامه من قِبل المتكلم باعتباره آلية تبليغ أولًا وآلية اندماج_في الحياة الواقعية ثانيًا.[5]

فعبد الرحمن الحاج صالح يرى أنّ الوضع يماثل الأصل_في قوله: فالوضع هو "القاعدة النحوية وخاص بالوحدات اللغوية_في تركيب الكلام، وهو حدّ الكلام وأصله"[6].

فالوضع حسبه يكمن_في مساعدة المتكلمين على تنسيق كلامهم وفق المنطق العقلي، ومن طريقه توضع القاعدة والحكم اللغوي مما يساعد على إزالة اللّبس والغموض من على التراكيب والجمل.

وقد نبّه ع الرحمن الحاج صالح إلى أنّ تفسير ظاهرتي الإفادة والتبليغ بالاعتماد على اعتبارات تخص اللفظ خاطئ لأوهام كثيرة، ثم حذّر من الخلط_في أثناء التحليل بين البنية اللفظية (الهيكل البنوي) للجملة وصيغة الخطاب التي تتألف من مسند ومسند إليه.[7]

وقد أولى عبد الرحمن الحاج صالح أهمية قصوى للفظة، وقيمة كبيرة_في مجال تحليل النظام اللغوي كونها أصغر وحدة لغوية_في الخطاب.

فالحاج صالح فرّق بين ما يعود إلى وضع اللغة وبنياتها، وبين ما هو يعود إلى كيفية أداء هذا الوضع لذلك يقول: بأنّ اللغة أو اللسان العربي وضع واستعمال؛ أي "نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ واستعمال فعلي لهذا النظام_في واقع الخطاب"[8] فاللغة حسبه نظام لغوي يتألف من عديد

الدوال التي ينتقي منها المتكلم ما يحتاجه للتعبير عن أغراضه. ومن هذا المنطلق يميز المتكلم ما يعود إلى القياس وما يعود إلى الاستعمال من الكلام؛ أي إجراء اللغة في أحوال خطابية متنوعة باعتبار أحكام الاستعمال وقوانينه تختلف عن قوانين النحو والقياس، وهذا ما لم يهتم به النحاة المتأخرون؛ فلكل من مبدأ الوضع والاستعمال قوانين مخصوصة تخضع لها وينتج عن ذلك أنّ اللفظ والمعنى في الوضع غيرهما في الاستعمال.[9]

فعبد الرحمن الحاج صالح يؤكد على التفريق بين الدوال ومدلولاتها لمن هو بصدد التحليل لعناصر اللسان.

وجاء في كتاب ع الرحمن الحاج صالح من خلال كتاب (الرضي في شرح الكافية البديعية "إنّ الوضع إنما يضع ألفاظًا معينة سماعية، وتلك التي يحتاج فيها إلى علم اللغة وإمّا أن يضع قانونًا كليًا يعرف به الألفاظ فهي قياسية وذلك القانون إما يعرف به المفردات، ويحتاج إلى معرفتها في علم التصريف، وإما أ يعرف به المركبات القياسية... ويحتاج في معرفة بعضها إلى التصريف ... وفي معرفة بعضها إلى غيره من علم النحو".[10]

يمكن القول: إنّ اللغة تستند في مواضعتها إلى السّماع، ثمّ إنّ هذا الواضع يحتكم إلى علم اللغة، وهذا الأخير له صلة بعلم التصريف والقياس.

4_ مفهوم الاستعمال:

أ_ لغة: ورد في لسان العرب لابن منظور: "استعمل فلان غيره إذا سأله أن يعمل له، واستعمله: طلب إليه العمل، واستعمل فلان إذا وُلي عملًا من أعمال السلطان، وأعمل فلان ذهنه في كذا وكذا إذا دبّره بفهمه، وأعمل رأيه، وآلته، ولسانه واستعمله: عمل به، قال الأزهري: عمل فلان العمل يعمله عملًا فهو عامل".[11]

فالاستعمال حسب مفهوم ابن منظور هو توظيف الشيء من أجل الاستفادة.

ب_ اصطلاحًا: يحمل مصطلح (الاستعمال) معنى التداول وطريقة الاستخدام. ومنه قول إميل بديع يعقوب "بأنّه دوران الكلمة والتراكيب على

الألسن ومنهم قولهم (شاذ قياسًا لا استعمالًا)".[12] حيث يكمن الاستعمال في تداول الألفاظ وتبادلها فيما بين الناس.

ويعرفه عبد الرحمن الحاج صالح بقوله: "كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، وليس كل ما هو موجود في الوضع يخرج إلى الوجود في الاستعمال كما أنّه ليس كل ما يقتضيه القياس سيحصل في الكلام".[13]

فالاستعمال عنده ليس كل ما وضع يستعمل بالإضافة إلى أنّ القياس الذي قيس عليه الوضع ليس بالضرورة يُستعمل في الكلام.

5_ ثنائية الوضع والاستعمال بين العرب والغرب من منظور الحاج صالح:

كان للعرب الأوائل السبق إلى الحديث عن مبحثي الوضع والاستعمال وأسالوا فيه كثير من الحبر أبرزهم: الخليل، والسيوطي، وابن خلدون... وكانت دراساتهم لهذين المصطلحين عبارة عن آراء متناثرة هنا وهناك في صفحات الكتب القديمة، حيث يعد كتاب سيبويه أقدم وأنضج كتاب في الموروث النحوي العربي كونه يحتوي على مفاتيح علم النحو، وهو الوريث الشرعي لعالم المتقدمين (الخليل بن أحمد) والكتاب هو لبُّ أفكار العلماء اللغوين الأوائل أثراها (سيبويه) بتحليلاته العلمية وتبويباته المنهجية.

فاستخدم (سيبويه) لفظة (وضع) بصيغة الفعل وصيغة المصدر الميمي من المادة (وضع/ يضع) وهو في الغالب الأعم يستعمله بمعنى دلالة المكان، ومن ذلك قوله: "الشعر وضع للغناء والترنم وقوله: الكلام الذي لم يوضع للغناء".[14]

فحسب هذا الكلام يتّضح أنّ معنى وضع "هو إثبات شيء لشيء أو نفي هذا الإثبات".[15]

من ينعم النظر في عبارات (سيبويه) التي ذُكر فيها لفظة وضع ومشتقاتها يدرك أنّه يعتقد أنّ ألفاظ اللغة هي من وضع رجل حكيم؛ أي لأنّ

الوضع عنده تخصيص لفظة معينة لمعنى معين اتّفقت عليه جماعة لغوية محددة "وهو تخصيص الشيء للشيء ينطبق على تخصيص اللفظ للمعنى.[16]

وهناك من النحاة من كان يعني بالوضع النظام العام الذي تقوم عليه اللغة أي قوانينها وأحكامها العامة.

إلا أنّ المحدثين أصّلوا لهذين المصطلحين وأسسوا لهما وتبنوهما في نظرية تتضمن دراسات عدّة وعلى رأسهم دي سوسير "هو جدير بالثناء لأنّه أول من نبّه في أوربا إلى اللغة كوضع ونظام غير الكلام الذي هو استعمال لها ولكل الجانبين خصوصياته، فهذا لم يفكر فيه اللغويون التاريخيون إلا القليل منهم".[17]

فالوضع والاستعمال يقابل عند دي سوسير اللغة والكلام، فاللغة حسبه تنقسم إلى قسمين:

_ التركيب (Syntagmatique)؛ وهو انتظام وتأليف مكونات الكلام.

_ استبدالي (Associatif).[18]

بينما نجد العرب هم أيضا درسوا كلا المبحثين فهم يرون أنّ الوضع "هو وضع المفردات أما الكلام فهم يحتاجون إلى فهم ما جاء به في القرآن والسنة من الأوامر والنواهي ولوازم المعاني...".[19]

اهتمّ العرب القدامى بالبحث في القرآن الكريم والسنة النبوية لأنهما مصدر أساسي للمادة اللغوية في العربية كما أنّهم أنشأوا المعجمات لأجل تأليف التراكيب للتواصل فيما بينهم، فالوضع عندهم هو اللغة أما الاستعمال "فهو الخطاب اليومي"[20]. وعلى رأي عبد الرحمن الحاج صالح فاللغة تكمن في الوضع والكلام يكمن في الاستعمال.

فاللغة حسب الحاج صالح نظام يتألف من مستويات متعددة، والمستوى يعني جملة من الوحدات التي تتألف مع بعضها بعضًا من طريق الإضافة لتمدها بوحدات على مستوى أعلى.[21] وقد اعتمدت اللسانيات الخليلية

الحديثة_في تحليلها للغة على هذه المستويات انطلاقًا من أصغر وحدة لغوية تتمثل_في الفونيم (الصوت) وصولًا إلى الخطاب (النص) (الدلالة).

مما سبق يتّضح أنّ الوضع يتمثل_في الاتفاق الذي تتناقله الأجيال جيلًا بعد جيل وتستعمله_في مختلف العصور،_في حين أنّ الاستعمال هو توظيف مبحث الوضع وتأليفه_في تراكيب متباينة لها معانٍ مفيدة.

ففكرة الوضع والاستعمال_في النظرية الخليلية الحديثة قريبة من ثنائية القدرة والأداء_في النظرية التوليدية التحويلية لتشومسكي، حيث يعني الوضع على المستوى الأول "اللسان كونه وصفًا علميًا للنظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب، ويعني الاستعمال على المستوى الآخر: الكيفية العفوية التي يجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام_في واقع الخطاب".[22]

6_ خاتمة:

عالج عبد الرحمن الحاج صالح قضية الوضع والاستعمال وفق استراتيجية ممنهجة_في تناوله لمختلف القضايا اللغوية المرتبطة بالوضع والاستعمال_في اللغة فقد وضع مفهومات محددة لهما انطلاقًا من رؤية القدماء لهما.

كما أنّه تطرّق إلى التفرقة بين مصطلحي اللغة باعتبارها أنظمة تتألف من رموز متفق عليها، والكلام من حيث هو استعمال منطقي وتطبيقي لهذه اللغة الموضوعة.

الهوامش والإحالات:

---

1 ينظر: سليمة قسمية: النظرية الخليلية الحديثة للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (جذورها التاريخية وتطبيقاتها اللسانية)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2016/ 2017م.

2 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، كراسات المركز، سلسلة مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، العدد 4، 2007م، ص30.

3 ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم: لسان العرب، ج 15، ط4، دار صادر، بيروت، 2004م، ص230_ 231.

4 الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف: معجم التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، د ط، دار الفضيلة، 1413هـ، ص211.

5 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، د ط، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص90.

6 المرجع نفسه، ص10_ 11.

7 ينظر: نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2011م، ص88.

8 صالح بلعيد: مقالات لغوية، دار هومة، الجزائر، 2009م، ص42.

9 ينظر المرجع نفسه، ص42.

10 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، مرجع سابق، ص35.

11 ابن منظور: لسان العرب، ط4، ج3، دار صادر، بيروت، 2005م، ص283_ 284.

12 إميل بديع يعقوب، ميشال عاصي: المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، ص92.

13 عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان، مرجع سابق، ص38.

14 سيبويه: الكتاب، ج2، طبعة بولاق، 1316_1317هـ، ص299.

15 عبد الرحمن الحاج صالح: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، ص21.

16المرجع نفسه، ص22.

17المرجع نفسه، ص203.

18المرجع نفسه، ص203.

19 عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان، مرجع سابق، ص29.

20 المرجع نفسه ، ص53.

21 ينظر: نسيمة نابي: مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، مرجع سابق، ص89.

22 فايزة مختاري: التعليمية عند عبد الرحمن الحاج صالح، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016_ 2017م، ص61.

المهدات المصطلحية وأهميتها في الاكتساب اللغوي عند العرب

Terminological prefaces and its importance in the linguistic acquisition among Arabs

د .آمنة مناع مخبر الدراسات
مركز البحث العلمي والتقني لتطوير
اللغة العربية بالجزائر
وحدة البحث اللساني وقضايا اللغة
العربية بالجزائر (ورقلة)
menaa30@gmail.com

الملخص:

تنبني النظرية الخليلية على مجموعة من الأسس والمفاهيم ، تعتمد في ضبطها على ضرورة التمييز بين اللغة واستعمالاتها المختلفة، كما تقوم على مبدأ السلامة أو الاستقامة اللغوية، تلك التي يُقصَد بها الاستعمال الصحيح للغة. وضع لها العرب مقومات وضوابط لعل أهمها يتمثل في البيئة النقية لغويا، إضافة للدَّخل اللغوي الذي يُعَد بمثابة الأساس المُهم في الصناعة اللغوية عند ابن خلدون وغيره.

الكلمات المفتاحية: السلامة اللغوية –الملكة اللسانية- التحصيل اللساني- الاكتساب اللغوي.

Abstract:

The Khalilian theory is based on a set of foundations and concepts, it states that the distinction must be made between language and its different uses, it is also based on the principle of linguistic correctness, which is the correct use of language. After the spread of the phenomenon of solecism Arabs put rules and regulations for it, perhaps the most important of these is the transition to a linguistically pure environment in order to acquire the correct language, in addition to collecting the language in a books that protect it from being lost, among the foundations also; the issue of linguistic income which is an important basis in the linguistic industry.

Keywords: Linguistic correctness; Linguistic faculty; Linguistic achievement; Linguistic acquisition.

مقدمة:

إن انفتاح العرب على الحضارات، واحتكاكها بالأمم المختلفة، ودخول الأعاجم في الإسلام، تسبّب في فُشُو اللَحن وانتشار المفردات الدَّخيلة على اللغة العربية، الأمر الذي زَرع الخوف وسط المهتمين بشأن اللغة وسلامتها، مما جعلهم ينتبهون ويُشَدّدون على ضرورة الحفاظ على السلامة اللغوية، والمنطق العربي الصحيح، ذلك ما نحاول مباحثته في سطور هذه الورقة البحثية من خلال العنوان التالي: **المهدات المصطلحية وأهميتها في الاكتساب اللغوي عند العرب**. في محاولة منا للإجابة على الإشكالية التالية: **ما هو مدلول السلامة اللغوية عند العرب وماهي مقوماتها وجهودهم في الحفاظ عليها؟** أما أهمية البحث فتتمثل في الكشف عن جهود العرب الحثيثة في خدمة اللغة العربية والحفاظ على سلامة استعمالها، وتبيان أثر ذلك على الاكتساب اللغوي للنمط العربي الفصيح. وعليه، تتجسد خطة البحث في دراسة العناصر التالية:

مقدمة؛ توضح عنوان الدراسة وأهميتها وإشكالية البحث وخطته.

مصطلحات الدراسة؛ نحاول التعريف بأهم مصطلحات البحث والمتمثلة في مصطلح السلامة اللغوية، والاكتساب اللغوي، والملَكَة اللسانية.

أهمية اللغة العربية؛ نعالج في هذه النقطة مكانة اللغة العربية وأهميتها عند العرب والمسلمين، وضرورة تعلّمها لفهم الدين.

التنشئة اللغوية عند العرب؛ نحاول هاهنا البحث في أهمية البيئة والمحيط اللغوية في الاكتساب اللغوي الصحيح. ومدى حرص العرب على تنشئة أبنائهم تنشئة لغوية صحيحة، فيدفعون الغالي والنفيس لأجل سلامة اللسان وفصاحة البيان.

مقومات السلامة اللغوية عند العرب؛ نتعرّض هاهنا للأهم العناصر التي تُعد بمثابة المقومات والضوابط في تحقيق السلامة اللغوية عند العرب؛ كالبيئة اللغوية السليمة من اللحن والدخيل اللغوي، وهي البادية بالنسبة لهم،

بالإضافة للمُدخلات اللغوية ذات المستوى اللغوي الفصيح كالقرآن والحديث والشعر.. إلخ

خاتمة؛ نعرض فيها لأهم النتائج المُتَوَصَّل إليها في البحث.

مراجع البحث وإحالاته.

مصطلحات الدراسة:

السلامة اللغوية:

يرتبط مصطلح السلامة اللغوية بظاهرة اللّحن التي جعلت العرب يهبون لنجدة اللغة العربية الفصحى، وهو من المصطلحات التي تعد من أعمدة النظرية الخليلية لعبد الرحمن الحاج صالح، يرتبط تعريفها بـ " قدرة الفرد على استعمال لغة ما بصورة صحيحة وسليمة في نطاق المواقف الاجتماعية الطبيعية تؤلف جزءً من السلامة اللغوية لا يقل أهمية عن الصحة النحوية والصرفية في إنتاج الجمل، ويؤكد اليوم الكثيرون من المعنيين بالعلوم اللغوية على هذه الناحية ويطالبون بضرورة توسيع مفهوم السلامة اللغوية ليشمل الجانب الاجتماعي. "[1] فالسلامة اللغوية حسب هذا النص لا تقف عند حدود الصحة النحوية والصرفية بل يضاف إليها الاستعمال الصحيح في المواقف الاجتماعية، وبالتالي تتعدى النظام اللغوي إلى الفعل الإنجازي للكلام.

من جهة أخرى يُضاف إلى تعريف مصطلح السلامة اللغوية ما بحثه النقاد من مسائل لابد من مراعاتها في ضبط تعريف هذ المصطلح وهي أن يكون " لفظه سالما من العيوب اللغوية ومسايرا للأحكام النحوية لأنه جزء من الكلام الإنساني الخاضع للقوانين اللغوية وهيكلها العام. "[2] فيربط هذا النص سلامة اللغة والنطق الصحيح بالسلامة في النظام النحوي والقواعد اللغوية.

الاكتساب اللغوي:

يشير مصطلح الاكتساب اللّغوي عمومًا إلى العملية التي تنمو بها المقدرة اللغّوية لدى الفرد، أثناء احتكاكه ببيئته ومحيطه اللغوي ، وهو " العملية التي يُحرز فيها الطفل سيطرة تامة على لغته الأم، وقد استُعملت كلمت اكتساب بدلا من تعلّم لأن الطفل يتوصل إلى إتقان اللغة بصورة تلقائية، وتأثرت الدراسات التي جرت في مجال اكتساب اللغة بنظرية تشومسكي في النحو والصرف وقد حاج صاحبها العالم تشومسكي بأن السرعة التي يصبح بها الأطفال قادرين على استنتاج الأحكام النحوية واستعمالها بنجاح في تركيب الجمل المنطوقة التي لم يسبق أبدا أن سمعوها من قبل يوحي بأن الأطفال يولدون وهو يملكون معرفة فطرية بالمبادئ العالية التي تُعَزّز البناء النحوي للغة، وهذا هو فحوى الفرضية العقلانية (أي فرضية الأفكار الفطرية) المعاكسة للفرضية التجريبية التي مفادها أن جميع أشكال المعرفة تأتي بالخبرة."[3] بناء عليه شبّه تشومسكي جهاز الاكتساب اللغوي لدى الطفل بصندوق مفاتيح، وما العملية التي يقوم بها الطفل في تلقّف الأنماط اللغوية وتثبيت القوالب اللسانية، إلا كوضع المفاتيح وتثبيتها في وضع معيّن. يقول مؤكدا ذلك بأن « اكتساب اللّغة في شِق منه عملية وضع للمفاتيح في وضع معيّن بناءً على المادة الأولية المُقدّمة أي أنها عملية تثبيت للقِيم التي تأخذها المُتغيّرات. » [4] ومفاده أن الطفل يولد باستعداد فطري، أو ميل غريزي لإنتاج اللغة ، ذلك أنه لا يتم إنتاج العناصر اللغوية إلا بعد إدراكها، بصرف النظر عن درجة ومستوى الإدراك الذي وصل إليه. يقول ميشال زكريا: « لا يكتسب الطفل اللغة واستعمالها فحسب بل يكتشف في الوقت نفسه، محتوى الكلام كحقيقة قائمة بحد ذاتها. ويمتلك تقنية التواصل اللغوي وبالتالي يتبيّن ماهية اللغة وعملها ودورها في المجتمع الذي يحيط به. إن الذي يتكلّم لغة معيّنة يعلم، على العموم كيف يستعملها للتوصل إلى بعض الأهداف. فنقول إنه يكتسب تنظيم كفاية مراسلية ترتبط بكفايته المميَّزة بالقواعد » [5] .

وفي ذات الصدد يشير عبده الراجحي إلى أن الاكتساب اللغوي: « يحدث في الطفولة؛ فالطفل هو الذي يكتسب اللغة، فيتشابه الأطفال في

كل اللغات في طريقة اكتسابهم للغة مما يدل على وجود هذه الفطرة الإنسانية المشتركة أو هذا الجهاز اللغوي العام. والطفل يكتسب اللغة التي يتعرّض لها، وهو –بطبيعة الحال– تعرّض غير منظّم، ومهما يحاول الكبار من تبسيط اللغة أمام الطفل فإن ذلك لا يمكن أن يكون وفق تخطيط. » [6]

أهمية اللغة العربية:

حظيت اللغة العربية على وجه الخصوص باهتمام العرب وغيرهم، من منطلق أبعاد وخلفيات متعدّدة، منها ما ارتبط بالقومية والهُوية، ومنها ما ارتبط بالجانب الاقتصادي آنذاك، ومنها ما تَعلّق بالجانب العَقَدي، أو ما يندرج ضمن البُعد الدّيني؛ ذلك أن أساس فهم الدّين يتجلّى في فهم اللغة وإتقانها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « لم يكن سبيل حفظ الدّين ومعرفته إلا بضبط اللّسان » [7] ويقول محمد بدوي: « تعلّم اللغة العربية من الدّين، ومعرفتها فرض واجب، فإنَ فَهم الكتاب والسنّة فرض، ولا يُفهَم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » [8] فكان الحثُّ على تعلّم اللغة العربية وتعليمها انطلاقا من الوازع الدّيني أكثر شيء. وخاصة بعد تفشّي ظاهرة اللّحن، وذيوعه في المجتمع العربي، الذي انتقلت صوره إلى قراءة القرآن الكريم؛ حيث يُذكَر أنَّ النبي ﷺ سمِعَ رجلا يقرأ فلحَن، فقال ﷺ « أرشدوا أخاكم » ، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى الأشعري: «..أما بعد: فتفقهوا في السنة، وتفقهوا في العربية، وأعربوا القرآن فإنه عربي » [9] وعن أُبَيٍّ ابن كعب قال: « تعلَّموا العربية كما تعلَّمون حفظ القرآن » [10] وقال شُعبة: « مَن طَلَبَ الحَديثَ فَلَم يُبصِر العَرَبيَّة، فمثله مثل رَجُلٍ عليه بُرنُس وليس له رأسٌ » [11] ، ونقل الخطيب أيضا قول النبي ﷺ : « رَحِمَ الله رجُلاً أَصْلَحَ مِن لِسانِهِ » [12] كما ورد في العمدة للتلمساني أن ابن العربي انفرد بترتيب في التعليم فقال: « ربما فات كثيرا من النَّاس كَيفِيَّة الطِّلَب، وأوَّلُها القصدُ إلى تعلّم العربية والأشعار فإنها ديوان العرب التي دعت إليها ضرورة فساد اللغات » [13]

التنشئة اللغوية عند العرب:

اهتم العرب قديما بالتنشئة اللغوية أيّما اهتمام، ذلك أن اللغة العربية أساس عقيدتهم، وعنوان قوميتهم وهُويتهم، فشمّروا لها واجتهدوا في تعلّمها وتعليمها. وكانت البادية لهم منارة المدارس المتخصصة في تعليمية اللغات والآداب. وجامعة الفصاحة اللغوية. أين يقيم الفرد بين خيامها، ويُداخل الأعراب فيها، يرحل برحيلهم، وينزل بنزولهم ليعود بذلك موفور الفهم، غزير العلم، مُعرِب اللّسان، السّبب الذي من أجله قال عبد الملك بن مروان: « أضر بنا في الوليد حبُّنا له؛ فلم نؤدّبه، وكن الوليد أدّبنا » [14] كما كانت البوادي « مقصدا لمن يريد أن يتعلّم اللغة بشكل سليم، كما كان أهلها محل تقدير إذا دخلوا المدن، وذلك بهدف الاستفادة من قدراتهم اللغوية » [15]

والمقصود بالتنشئة اللغوية عند العرب هو الحرص على تكوين أنفسهم وأبنائهم تكوينا لغويا جيدا لأجل ذلك كانوا يعملون على ملازمة البيئة النقية لغويا ردحا من الزمن طلبا لسلامة اللسان وفصاحة البيان، وهو ما نستنبطه من خلال ما عاشه النبي ﷺ في بداية نشأته اللغوية في قبيلة بني سعد قال ﷺ : « أَنا أَفصَح العَرب بَيدَ أَنِّي مِن قريش، وإِنِّي نَشَأْت في بني سَعد بن بكر » [16] وفي رواية أخرى « أنا النبي لا كَذِب، أَنَا ابنُ عبدِ المطَّلِب، أنا أعرَبُ العَرَب، وَلدَتْني قُرَيشٌ، ونشَأْتُ في بنِي سَعْدِ ابْنِ بَكْرٍ، فَأَنَّى يَأتِينِي اللَّحْن. » [17] يشير هذا الحديث إلى دَيدَن العرب قديما في إرسال صبيانهم إلى البوادي، بحثا عن فصاحة اللسان، وسلامة الأبدان.

إن السلامة اللغوية التي ميزت قبيلة بني سعد كانت نتيجة ابتعادها عن الحركة التجارية، على عكس قريش التي كانت محفل الحركة التجارية يقول أحمد أمين: « سلامة اللغة كانت في بني سعد خيرا ممّا هي في قريش، لأنهم أهل وبر، وأبعد عن التجارة وعن الاختلاط بالنّاس. وعلى العكس من ذلك قريش، فهم أهل مدر، وكثير منهم كان يرحل إلى الشام ومصر وغيرهما ويتاجر مع أهلها، ويسمع لغتهم، فهم من ناحية سلامة اللغة ينطبق عليهم ما انطبق على غيرهم ممن خالط الأمم الأخرى، ولكنهم من ناحية الفصاحة فصحاء [...] فإذا امتازت قريش بالفصاحة فقد امتازت بنو

سعد بسلامة اللغة، وقد جُمع للنبي الأمران. » [18] فعلى الرغم من فصاحة قريش، إلا أن مكوثه ﷺ في بادية بني سعد طوّر لغته وحسّنها، وساعده على اكتساب صفات لغوية أخرى. بصرف النظر عن الروافد اللغوية الأخرى أو ما يسمى بالمتغيّرات الدّخيلة التي استقى منها ﷺ صفات لغوية أخرى، كالنص القرآني مثلا. حيث ذكر ابن عساكر أن رجلا قال للنبي : ما أفصحك، ما رأينا الذي هو أعرَب منك؟ قال: « حقٌّ لي، فإنَّما أُنزِل القرآن عليّ بلسانٍ عربِيٍّ مبين » [19] على أساس أن الفرد يكتسب لغته: « من المحيط الذي يعيش فيه بغض النظر عن عرقه، أو الجينات التي يرثها من والديه؛ فالمولود الإنجليزي الذي يعيش في بيئة لغوية فرنسية، سيتحدّث الفرنسية وليس الإنجليزية. » [20] من هنا يؤكد النبّي ﷺ على أن اللغة ملك من يتعلمها ولا علاقة في ذلك بالجينات الوراثية أو الجنس فيقول : « وَلَيسَت العَربِيَّة بِأَحدِكُم مِن أَبٍ وَلا أُمٍّ وإِنَّما هي لِسَانٌ، فَمَن تَكَلَّم بالعَرَبِيَّة فَهُوَ عَرَبِي. » [21]

وعليه، فالتنشئة اللغوية عند العرب قائمة على أُسُس أهمها الانتقال إلى البادية ومخالطة أهل اللغة، مع ضرورة الجمع بين « السماع والمشاهدة للإحاطة بمعرفة ظروف الكلام ومقاماته والتمكن من مشاهدة الحال التي تصحب الخطاب كما يحدثه صاحبه. » [22] يقول أحمد أمين في هذا السياق أن مصادر العرب في تحصيل اللغة: « سماع الأعراب في البادية؛ وكثيرا ما كانوا يخرجون ويمضون الأعوام فيها، ويخالطون الأعراب ويؤاكلونهم ويشاربونهم، ويسمعون منهم ويدوّنون، يسمعون الرجل والمرأة والغلام يتحدثون في الإبل والمراعي والزواج والطلاق وجميع شؤونهم، ويصغون إليهم، وينقلون عنهم؛ وقد كثُر ذلك من العهد الأموي إلى العصر العباسي الأول إلى ما عده، ورُوي عنهم من ذلك الشيء الكثير.» [23]

مقومات السلامة اللغوية عند العرب:

إن السلامة اللغوية عند العرب كانت غاية تتأسس على مجموعة من الوسائل والمُقومات أهمها ما نعرضه في النقاط الآتية:

البيئة اللغوية:

لقد كان إرسال الصبيان إلى البوادي العربية الفصيحة، شعيرة من شعائر العرب، طلبا لسلامة النّطق، وصحة البيان، ولم يكن هذا حكرا على الصغار بل كان نهج الكبار أيضا، ودَيدَن كل من يسعى إلى إتقان العربية، وتملّكَ ناصيتها. حيث: « كان بنو مروان يُلزمون أولادهم البادية لينشئوهم هناك على تقوية اللسان، وإخلاص المنطق » [24] على أن التنشئة تتم من خلال التعوّد على النمط اللغوي الصحيح وتكرّر استماعه من أهله، ومن نماذج ذلك تجربة النبيﷺ في نشأته اللغوية حين أرسله أهله إلى بادية بني سعد، ترعرع بين أحضانها، يتشرّب اللغة من محاضنها، ويتلقّف الصيغ والأساليب من مضانها. وكذلك فعل ﷺ مع ولده حيث قال « كان إبراهيم مُسترضعا له في عوالي المدينة »[25] شرح النووي العوالي بالقرى التي حول المدينة [26] في إشارة إلى الأثر اللغوي المصاحب للاحتكاك بالبيئة والاختلاط بأهلها، وما لذلك من دور في صناعة الملكة اللغوية، وتحقيق السلامة اللغوية، . قال أبو محمد اليزيدي: « كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفاصحان به ويقول: كان أولاد الخلفاء من بني أمية يُخرَج بهم إلى البدو حتى يتفصحوا، وأنتم أولى بالفصاحة منهم. » [27] تأكيدا منه على أن الغاية الأسمى من الخروج إلى البادية هي فصاحة اللسان. وفي رواية عن ابن عبد ربه في العقد الفريد قال: « أضرّ بنا في الوليد حبّنا له فلم نلزمه البادية » [28] وكان قد بعث إخوته إليها فنشأوا على سلامة اللّسان، بينما نشأ الوليد لحّانا [29].

إن تقصّي الآثار يبيّن أن إرسال العرب أولادهم قد يكون لأسباب كثيرة متنوعة منها ما هو تقليدي، أو مسلَك حياة كما هو واضح في قصة النبي ﷺ، ومنها ما كان لسانيا قُصِد به اتقاء لحن القول، وخاصة بعد انتشار الفتوحات الإسلامية ودخول الأعاجم « لهذا نجد البادية في القرنين الأوَّلَين للهجرة تقوم بدور المدرسة في الوقت الحاضر، ومما يقوله (حيي) في كتابه عن (تاريخ العرب) إن صحراء سورية كانت مدرسة الأمراء الأمويّين، ولم تكن الصحراء مدرسة الأمراء فحسب بل قصدها عدد كبير من العلماء والأعلام. » [30] ومن نماذج هؤلاء الذين ارتحلوا إلى البادية ومكثوا بها زمنا طويلا في

سبيل التمكّن من الملكة اللغوية، واكتساب الفصاحة العربية بطريق السماع والمباشرة، الإمام الشافعي الذي يقول متحدّثا عن تجربته: « خرجت من مكة، فلزمت هذيلا في البادية، أتعلّم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، قال فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلها، وأنزل بنزولهم. فلما رجعت من مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب.. » [31] تكشف هذه الواقعة عن تخيّر الشافعي للبيئة التي لا يسمع فيها صوتا ولا لغوا إلا بالعربية الفصيحة، والنتيجة كانت بعودته متمكّنا من اللغة، يتحدّث بحديث أهلها، ومتطبّعا بطبعها اللغوي الفصيح.

وشبيه بذلك ما حدث مع أبي موسى الهوّاريّ، الذي داخَلَ الأعراب في مَحَالُّها، الأمر الذي جعله يَعي مضامين كُتبُه التي فقدها، ولم يؤثّر ذلك فيه. حيث « لمّا صَدَرَ عن سفره عَطِب بنحو تُدمير، فذهبت كتبه [...] قصد شيوخ أهل إستجة أبا موسى يهنّؤونه بقدومه، ويعزّونه بذهاب كتبه، فقال لهم: ذهب الخُرج وبقي ما في الدّرج، أنا شعبي زماني، فاليسألني من شاء. » [32] إذ أنه حقّق الفائدة من مخالطته للأعراب أكثر من ملازمة الصحائف والكتب. والحال نفسه مع عبد الله بن سعيد الأموي اللغوي الذي تشير كتب السير والتراجم إلى أنه لم يكن من الأعراب بيد أنه « لقي العلماء، ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب. » [33]

بهذه النماذج يُفصح التراث العربي عن كثير من ملامح السعي والحرص على تحصيل اللغة العربية الفصحى، وتحقيق السلامة اللغوية؛ أين يقيم العربي في بيئة منقطعة عن الانفتاح للمدائن المتحضرة، واللغات الأخرى. فكانت بوادي المدينة مثلا وغيرها، منارا لتعليم الفصاحة والبلاغة، وموطنا يُقوَّم فيه اعوجاج الألسن، وفساد السّلائق، فالمعافريُّ مثلا كان شاعرا مجوّدا مطبوعا، أُجبِل [*] في آخر عمره، فرحل عن حاضرته إلى البادية فسكنها وأقام بها، طلبا لصلاح اللسان وقوامه. [34]

وإذا كان العرب قديما قد تهيّأت لهم البيئة النقية لغويا، والبوادي الفصيحة، فإنّ عصرا كهذا لا يتوفّر له مع اللغة العربية -تحديدا- سوى توفير بيئة مصطنعة، تراعي صفاء الصوت، وسلامة اللغة. والانكباب

على ما خلّفه لنا هؤلاء من مدوّنات شعرية، وأخبار ومناقلات، وغيرها، نروّض عليها ألسنتنا، فذلك سبيل لحصول الملكة كما قال الفارابي : « ثم يأخذ الناشئ هذه الأشياء عن السالف على الأحوال التي سمعها من السالف، وينشأ عليها ويتعوّدها مع من نشَّأه، إلى أن تتمكّن فيه تمكّنا يحفو به أن يكون ناطقا لغير الأفصح من ألفاظهم، ويحفظ الغابر منهم ما قد عمل به الماضي من الخطب والأشعار وما فيها من الأخبار والآداب. » [35]

ملازمة العلماء والشيوخ:

مسألة (الملازمة) لشيخ أو عالم ، كانت عادة العرب مُتأصّلة فيهم، نظرا لما فيها من فائدة الكسب المباشر لملكات متعدّدة، كالحوار والمناقشة والطلاقة اللغوية وغيرها. مثال ذلك ما حدث مع سيبويه حين لحن في قول النبي : « لَيسَ مِن أَصحابِي إلاَّ مَن لو شِئت لأخذت عليه لَيسَ أبَا الدَّرداء »، فقال سيبويه: (ليس أبو الدّرداء) وظنَّه اسم ليس. فقال حمّاد: لحنتَ يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبتَ، وإنما (ليس) ههنا استثناء، فقال: لا جرم، سأطلب علماً لا تلحِّنني فيه. فلزم الخليل فبرع » [36] فالسلامة اللغة اللغوية بنظر سيبويه لا تكفيها الانتقال للبادية وتشييخ الصحيفة بل ملازمة شيخ عالم محيط باللغة وعلومها. وفي رواية عن حماد بن سلمة « أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئا من الحديث، قال حماد: فكان مما أمليت ذكر الصفا، فقلت: (صعد رسول الله الصّفا)، وكان هو الذّي يستملّ، فقال: (صعد النبي الصفاء)، فقلت: يا فارسيُّ لا تقل الصَّفاء، لأن الصفا مقصور. فلمّا فرغ من مجلسه كسر القلم وقال: (لا أكتب شيئا حتى أحكم العربية) » [37] مؤكّدا على أن إحكام العربية بالنُّزوع إلى بيئتها، سواء البيئة الشفهية المباشرة، أو بين دفات الكتب، وما كان له أن يتمكّن من العربية رغم عجمته لو لم يترعرع في بيئتها وبين أهلها.

لأجل تحقيق السلامة اللغوية في المخاطبات والتواصل الاجتماعي كان العرب يَشُدُّون الرّحَال إلى البوادي، والبيئات العربية الفصيحة، يستمعون لحديث أهلها ومخاطباتهم، ويصحبون خلال ذلك شيخا أو أكثر يقوّمون معه ممارساتهم الكلامية، وأساليبهم التواصلية. أو يلازمونهم

إذا قدموا إلى الحواضر والمدن، نحو ما نُقل عن ابن الأنباري أن الأمير إبراهيم بن الأغلب كان « إذا قَدم عليه أَحَد من الأعراب والعلماء بالعربية، والشعراء أصحَبَهم ابنه زيادة الله، وأمره بملازمتهم، فجاء أفصح أهل بنيه لسانا وأكثرهم بيانا، وكان يُعرب كلامه ولا يَلحَن دون تشدّق ولا تقعُّـــر ويصوغ الشِّعـــــر الجيِّد. » (38)

مخالطة النصوص الجيدة وكثافة الاستماع لأهل اللغة:

على قدر جودة النصوص تجود الملكة يقول ابن خلدون : «على قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ. » (39) فيحدد ابن خلدون أن جودة الملكة تتحقق من خلال طبيعة المحفوظ و كميته. وقد أكّد في مواضع كثيرة من مقدّمته على أهمية المخالطة للنصوص الجيدة في تحقيق السلامة اللغوية والملَكة اللسانية الجيدة فيقول: « نجد المعلّمين يذهبون إلى المسابقة بتعليم اللسان للولدان وتعتقد النحاة أن هذه المسابقة بصناعتهم، وليس كذلك وإنما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة اللسان وكلام العرب. » (40) ويضيف الجاحظ قائلا: « ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع، ولا آنق ولا ألذ في الأسماع، ولا أشدّ اتّصالا بالعقول السّليمة، ولا أفتق للّسان، ولا أجود تقويما للبيان؛ من طول استماع حديث الأعراب الفصحاء العقلاء، والعلماء البلغاء.»(41) فالتمرّس على النّصوص النثرية والمقطوعات الشعرية، مجال مهم في ترويض الفرد على إنتاج أجود التراكيب، وآنق الألفاظ والعبارات. ثم إن تعويد الفرد على حفظ النصوص أمر « يساعد على توسيع نطاق المعرفة وإتقان اللغة وقواعدها واستعمال الألفاظ في مواقعها المطلوبة » (42) على أن الحفظ هو نوع من المخالطة للغة المكتوبة، والمعايشة للنصوص الأدبية. المتمثّلة في شكل أقيسة وصور ذهنية قابلة للتعميم أثناء الإنتاج. وعلى قدر جودة المدخلات تجود المخرجات والعكس، قال طه حسين: « نحسن العلم فنحسن التعبير ونخطئ العلم فيخطئنا التعبير » (43)

وقد جرت عادة العرب قديما على ترويض أنفسهم وأبنائهم بكثرة الحفظ، وتنافسهم على ذلك، منذ أن يلتحق الطفل بالكتّاب إلى أن

يتدرّج في مجالس العلماء، فيتناوب على حفظ العلوم والآداب اللغوية، بدءا بالقرآن والحديث، لما في ذلك من تفتيق ملكة اللغة، وترسيخ مادتها. فقد روى الخطيب البغدادي أن « أول باب من العلم الانصات له، ثم الاستماع له، ثم حفظه. » [44] وقال الإمام النووي : « اجتهد أولوا البصائر والأنفس الزاكيات والهمم المهذبة العاليات في الاعتناء بها والتمكُّن من إتقانها بحفظ أشعار العرب وخطبهم ونثرهم وغير ذلك من أمرها. » [45] فالحفظ مدخل مهم في تحسين أداء الفرد، فعلى أساس جودة الملكة يجود الأداء. نُقل عن السيدة عائشة –رضي الله عنها– أنها قالت:« عليكم بالشّعر فإنه يُعرب ألسنتكم. » [46]

فضلا عن ذلك، فإن العرب قديما كانوا يهتمون بالحفظ والمطالعة باعتبار الفائدة اللسانية على نحو ما صرّح به الجاحظ في قوله: « كانوا يُروّون صبيانهم الأرجاز ويعلّمونهم المناقلات ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الإعراب، لأن ذلك يُفتّق اللّهاة، ويفتح الجِرم. » [47] وفي سياق هذا يذكر أبو العباس أن سبب تمكّنه من اللغة هو الحفظ ومدارسة الكتب مدة طويلة من الزمن، يقول متحدّثا عن نفسه: « حذقت العربية، وحفظت كتب الفراء كلها حتى لم يشذّ عني حرف منها ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى بالنحو أكثر من عنايتي بغيره. فلما أتقنته أكببَت على الشعر والمعاني والغريب، ولزمت أبا عبد الله بن الأعرابي بضع عشرة سنة. » [48]

إن مخالطة النصوص اللغوية الفصيحة سماعا وحفظا أسلوب مهم في تنمية الملكة اللسانية، وتحقيق السلامة اللغوية، يقول ابن خلدون: « ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويَروم تحصيلها أن يأخُذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السّلف ومخاطبات فُحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم وكلمات المولَّدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزّل لكثرة حِفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولُقِّن العبارة عن المقاصد منهم. ثم يتصرّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حسَب عباراتهم وتأليف كلماتهم وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم فتحصُل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال

ويزداد بكثرتهما رُسوخًا وقوَّةً. » [49] وذلك انطلاقا من عملية القياس والتعميم التي يقوم بها العقل البشري وفق ما يتوفّر له من مخزون لغوي. وهذا باختصار حديث لساني محض عن الأداء الاستقبالي والأداء الإنتاجي للغة، يقول الفاسي الفهري في قوله أن « المعرفة اللغوية المخزونة التي يكتسبها متعلّم اللغة هي عينها التي يستعملها بصفة غير واعية في فهم وإنتاج اللغة. » [50]

كما أن تمرين الأذن على طول الاستماع وكثافته، يعوّد الفرد على قانون لغوي، ونمط تعبيري معيّن، يُكسِبه ميزة التصويب الذاتي إذا لحَن القول، أو حاد عن سلامة التعبير، ذلك ما عبّر عنه القاضي عبد الجبار في قوله بأن الاكتساب اللغوي إنما يتم من خلال « السماع والاختبار والمحاكاة والممارسة المباشرة والاعتياد وعلى قدر التكرار ترسخ العادة، وإذا ترسّخت العادة تتوطّد على نحو يصبح من الصعب التعديل فيها. حتى أن بعضهم إذا اعتاد طريقة في الفصاحة المتقدمة لا يواتيه الكلام المتوسّط والرّكيك إلا بعد جهد وتكلّف. » [51] يتوافق هذا النص مع معطيات الممارسة اللغوية التي يتحقق بها ما يسمى بالعادة اللغوية، أين يتعود الفرد على النمط اللغوي لدرجة تأنَف أذنه، أو يمُجّ لسانه الخطأ، بناء على المضامين التي اعتاد استعمالها، يقول ابن خلدون: « ولو رام صاحب هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل المعيّنة والتراكيب المخصوصة، لما قدِر عليه ولا وافقه عليه لسانه، لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده. وإذا عُرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجّه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم. » [52] فيستثقل لسانه الانحراف اللغوي بناء على ما تعوّد استعماله، علّق عبد القادر الفاسي الفهري على هذا بقوله أن المعرفة اللغوية المخزونة في ذهن المتعلّم هي التي تمكّنه من التكلّم بشكل صحيح كما أنها هي : « المعرفة التي تصلح في الحكم على المتواليات، بأن بعضها ينتمي إلى لغته، وبعضها لا ينتمي إليها. » [53] وهذا لن يحصل لأحد إلا بعد الوصول إلى مستوى الإدراك والوعي اللغوي.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث نخلُص إلى مجموعة من الاستنتاجات ذات العلاقة بإشكالية البحث وموضوعه، نوجزها في النقاط التالية:

يقوم مفهوم السلامة اللغوية على استعمال اللغة بشكل صحيح يتماشى مع القوانين اللغوية بمختلف مستوياتها في مختلف الظروف والمواقف الاجتماعية.

يتمثل الاكتساب اللغوي فيما يمتلكه الفرد من كفاءة لغوية تمكّنه من التواصل مع بني جنسه، يتم بطريقة طبيعية دون تكلّف أو تصنّع.

تكتسي اللغة العربية أهميتها من مجموعة مؤثرات ومتغيرات أهمها يتمثل في الوازع الديني المرتبط بكونها لغة القرآن والحديث الشريف. كما أنها اللغة التي بها يتم فهم الدين وأصوله.

تقوم التنشئة اللغوية عند العرب على مجموعة ضوابط وأسس أهمها الهروب من البيئة المختلطة إلى ذات الصفاء والنقاء اللغوي، حرصا على تحقيق السلامة اللغوية والفصاحة.

أما مقومات السلامة اللغوية عند العرب فهي عديدة ومتنوعة، بيد أن أهمها يتمثل في النزول والانتقال للبادية التي تعَدّ بالنسبة للعرب المدرسة اللغوية الطبيعية، أين يكون التعلم طبيعيا غيرا خاضع للصنع والتكلّف، إضافة لطبيعة الدّخل اللغوي الذي يتم من خلال الحفظ والاستماع الجيد والمُكَثَف للغة العربية في بيئتها ومن أهلها، وهذا لا يمنع من ملازمة شيخ أو عالم يأخذ عنه العلم الصحيح في اللغة ويزيل من خلاله اللّبس فيما أشكَل عليه.

تظهر أهمية السلامة اللغوية في عملية الاكتساب اللغوي من خلال تجسيد تلك المُقومات والضوابط التي نصّ عليها العرب قديما؛ فجودة التعبير وسلامته تتحقّق من جودة المُدخلات والمكتسبات.

وفي الأخير نوصي بضرورة الحرص على مراجعة التراث العربي وسير العلماء العرب وتراجمهم، لأجل الأخذ بها في تحقيق السلامة اللغوية، وسبيل الاكتساب اللغوي الجيد، سواء من خلال اقتفاء أثرهم، أو من خلال تشرّب نصوصهم وما ورَد في مدوّناتهم لأجل تملُّك ناصية اللغة.

الهوامش والإحالات:

---

[1]- ياسر الفهد، آفاق جديدة في العلوم اللغوية –رحلة في كتاب- عرض وتحليل، مجلة الفيصل، دار الفيصل الثقافية، ع27، 1979م، ص: 89.

2- محمد ذنون يونس الفتحي، تراثنا الاصطلاحي (أسسه وعلاقته وإشكالياته) – بحوث في المصطلح اللغوي- ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2013م، ص: 13.

3- ياسر الفهد، المرجع السابق، ص: 88.

4- تشومسكي، اللغة ومشكلات المعرفة: محاضرات ماناجو، تر: حمزة بن قبلان المزيني، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1990م.، ص: 96.

5- ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1986م، 49.

6- عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1995م، 21.

7- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت، ص:

8- محمد بدوي، أهمية تعلم اللغة العربية، حوليات كلية الآداب، الكويت، 1996م، الحولية16، الرسالة 107، 15.

9- ابن أبي شيبة، المصنف، تح: حمد بن عبد الله الجمعة ومحمد اللّحيدان، مكتبة الرّشد ناشرون، الرياض،ط1، 2004م،، كتاب فضائل القرآن (ما جاء في إعراب القرآن)، 205/10.

10- ابن أبي شيبة، المرجع نفسه، والصفحة.

11- الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الرّاوي وآداب السّامع، تح: محمود الطحّان، مكتبة المعارف، الرياض، دط، 1983م، 26/2.

12- الخطيب البغدادي، المرجع نفسه، والصفحة.

13- التلمساني، شرح عمدة الأحكام، تح: سعيدة بحوت، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط1، 2011، 201/1.

14- ابن عبد ربه، تأديب الناشئين بأدب الدنيا والدين، تح: محمد ابراهيم سليم، مكتبة القرآن، دط، دت، 119.

15- الرياصي، المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول (132-232ه)، منشورات جامعة 7 أكتوبر، الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، مصراته، ليبيا، ط1، 2010م، 116.

16- ينظر: الزركشي، اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة المعروف بالتذكرة في الأحاديث المشتهرة، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1986م، 160./ ابن البديع، تمييز الطيّب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1985م، 35. / السيوطي، الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، تح: محمد بن لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض،دط، دت، 56.

17- ينظر: المناوي، فيض القدير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2، 1972م، 38/3.

18- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مؤسّسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية-القاهرة، دط، 2012م ، 577/2-578.

19- ابن عساكر، تاريخ دمشق، تح: محب الدين العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، 1995م، 5/4.

20- محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت-لبنان، ط1، 2004م، 35

21- ابن عساكر، المرجع نفسه، والصفحة.

22- بشير ابرير، مفهوم النص في التراث اللساني العربي، مجلة جامعة دمشق، المجلد 23، 2007م، 22/1.

23- أحمد أمين، المرجع السابق، 583/2.

24-الرافعي، تاريخ آداب العرب، مرا: عبد الله المنشاوي ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، دط، دت، 206.

25- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة المصرية بالأزهر، ط1، 1930م، 75/15.

26- المرجع نفسه والصفحة.

27- ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2003م ،305.

28-ابن عبد ربه، العقد الفريد، تح: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت.، 309/2.

29- نقل ابن عبد ربه في العقد الفريد نماذج تثبت كثرة اللحن في كلام الوليد بن عبد الملك من ذلك قوله: « كان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك، وكان الوليد لحَّانا، فقال: يا غلام، ادع لي صالح. فقال الغلام: يا صالحا. قال له الوليد: انقص ألفا. فقال عمر: وأنت يا أمير المؤمنين فزد ألفا. » [ابن عبد ربه، العقد الفريد، 309/2.]

30-عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، 152.

31- ياقوت الحموي، معجم الأدباء، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1991م، 192/5.

32- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، 253.

33-القفطي، انباه الرواة على أنباء النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط1، 1986م، 120/2.

* أُجبل: صَعُب عليه القول.

34- ينظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، دت، 307.

35- الفارابي، الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت-لبنان، ط2، 1990م ، 144.

36- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،دط، دت، 7/1-8.

37- الزجاجي، مجالس العلماء، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1999م، 118.

38- نقلا عن: ابن سحنون، آداب المعلمين، تحقيق : حسن حسني عبد الوهاب - مراجعة : محمد العروسي المطوي -منشورات دار الكتب الشرقية - تونس - 1972م، 45-46.

39- ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، دط، 1427ه-2007م، 630.

40- ابن خلدون، المرجع نفسه، 617.
*- الحِرم: الحلق
41- نقلا عن: أحمد أمين، ضحى الإسلام، 303/1.
42- سعاد الوائلي، طرائق تدريس الأدب والبلاغة والتعبير بين التنظير والتطبيق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2004م، 33.
43- طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط12، 1985م، 198.
44- نقلا عن: سالك أحمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، مكتبة لينة للنشر والتوزيع، ط2، 1993م، 56.
45- النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، دط، دت ، 2/1. .
46- نقلا عن: الكتاني، التراتيب، تح: عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت-لبنان، ط2، دت ، 203/2.
47- الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م، 1 /272.
48- ثعلب، مجالس ثعلب، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، دط، دت، ص: 9-10
49- ابن خلدون، المرجع السابق، 771-772.
50- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٦م ، 47.
51- نقلا عن: ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية: دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، 1993م ، 106.
52- ابن خلدون، المرجع السابق، 615.
53-عبد القادر الفاسي الفهري، المرجع السابق، 47.

المدرسة الخليلية الحديثة و المعالجة الآلية للغة العربية من منظور عبد الرحمان الحاج صالح

The Neo-Khalilian Theory addressing the difficulties of processing Arabic using computers :An analytical descriptive study,by Abderrahmane Hadj Salah.

حليمة بن سكيريفة .طالبة دكتوراه
مخبر اللسانيات النصية و تحليل الخطاب
أ.د حسين دحو
مخبر النقد ومصطلحاته
جامعة ورقلة
halimabensekirifa@gmail.com

الملخص:

سعى الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في نظريته الخليلية إلى استقراء التراث اللغوي العربي القديم، معتمدا منهج القراءة و إعادة القراءة لهذا التراث الأصيل، بمقارنة الأفكار العلمية التي أتى بها الخليل بن أحمد الفراهيدي، التي تأسست على معطيات رياضية، بالدراسات والنظريات الحديثة في مجال حوسبة اللغة، لمعرفة كيفية توصيف اللغة العربية في الحاسوب، من أجل تسهيل معالجة مشاكل تعلمها و تعليمها.

الكلمات المفتاحية: النظرية الخليلية، اللسانيات الحاسوبية، النظرية التوليدية التحويلية، المعالجة الآلية، عبد الرحمان الحاج صالح.

Abstract:

In his neo-khalilian theory, Dr. Abderrahmane Hadj Salah sought to investigate the ancient Arab linguistic heritage, using the reading and re-reading techniques on this genuine mateial, and then comparing the scientific ideas that Al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi had brought with the recent studies and theories in the field of computational linguistics. The ideas of Al-Farahidi were based on mathematical concepts and so on. The aim of which is to learn how to characterize the Arabic language in computers, in order to facilitate the treatment of difficulties related to its learnability and teachability

Keywords : Khalilian theory, computational linguistics, transformational generative theory, computer processing, Abderrahmane Hadj Salah

تمهيد:

امتاز الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في بحوثه اللسانية بإتباع المنهج الوسطي في دراستها، حيث أنه جمع بين الأصالة والمعاصرة، جمع بين التراث اللغوي الأصيل والدراسات اللسانيات الغربية الحديثة، خاصة في الشق اللساني الحاسوبي، طرح ذلك من خلال تأصيله للنظرية الخليلية الحديثة، والتي اهتدى إليها من خلال المقارنة والتدقيق والتمحيص بين ما تركه الخليل وتلميذه سيبويه، والنظريات اللغوية الغربية الحديثة، فالأستاذ معجب بعبقريته « فالخليل أحد كبار العباقرة الذين هم مفخرة الحضارة العربية»[1]؛ يرى الحاج صالح أن الخليل هو الأسبق في إرساء ووضع مفاهيم رياضية محضة سابقة لأوانها في جميع مبادئ اللغة والدراسات اللغوية العربية خاصة، كالفكرة البديعية التي بني عليها أول معجم "العين"، وما يترتب عليها من المفاهيم الرياضية، كمفهوم العاملي (Factorielle)،وقسمة التركيب (Combinatore)، ومفهوم الزمرة الدائرية وغير ذلك[2]; حيث يؤكد الأستاذ على ضرورة الحرص في البحوث اللغوية على مبدأ الأصالة والعمل عليها.

فما هي آلية اللسانيات الرياضية الخليلية في معالجة اللغة العربية حاسوبيا؟.

يعد مجال المعالجة الآلية للغة العربية من أهم المجالات التي تطرق إليها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، وقد قال فيه الأستاذ الدكتور شوقي ضيف: « قد أتى بمباحث جديدة لم يسبق إليها وهو مشكور على هذا الجهد العلمي الرائع »[3]؛ يقول الأستاذ في أحد بحوثه : « ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها أن الغاية المنشودة التي يجب أن يحققها اللغويون الذين يتعاونون مع الحاسوبيين في العلاج الآلي للغة، هي الانطلاق من نظرية لغوية متماسكة، تتميز بوضوح المفاهيم واستقلالها وشموليتها ومثل هذه النظرية بالنسبة للعربية يمكن أن نجدها عند النحاة الأولين ممن أبدعوا في كل المفاهيم والمناهج التحليلية العربية الأصيلة التي تنتمي إلى مدرسة الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه، ومن تلاهما قبل نهاية ق4 ه »[4]؛ فالأستاذ

أسهب واجتهد كثيرا في تقديم ما يخدم اللغة العربية حاسوبيا من خلال عدة بحوث متناثرة في مؤلفاته نذكر منها:

- دور النظرية الخليلية في النهوض بالبحوث الحاسوبية الخاصة باللغة العربية.

- العلاج الآلي للنصوص العربية و النظرية اللغوية.

- تقرير حول مستلزمات بناء قاعدة آلية للمفردات.

- الكتابة العربية ومشاكلها.

- المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب.

- حوسبة التراث العربي والإنتاج الفكري في ذخيرة محسوبة واحدة كمشروع قومي.

تكنولوجيا اللغة والتراث اللغوي العربي الأصيل.

- منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات.

- التحليل العلمي للنصوص.

- أنماط الصياغة اللغوية الحاسوبية والنظرية الخليلية الحديثة.

إن موضوع النظرية هو التراث اللغوي العربي القديم، أما منهجها فهو قراءة التراث وإعادة قراءته بمقارنته بالنظريات الحديثة، و للنظرية مجموعة من المبادئ هي:

مبادئ النظرية الخليلية الحديثة :[5]

مبدأ الاستقامة :

يقول سيبويه في أول كتابه: « فمنه (أي الكلام) مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب و مستقيم قبيح وما هو محال كذب»[6]، فسيبويه على أثر الخليل ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ، والسلامة الخاصة بالمعنى

التي يقتضيها القياس، والسلامة الخاصة بالمعنى، والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين، ومنه نميز :

- المستقيم الحسن: سليم في القياس والاستعمال.

- المستقيم القبيح: خارج عن القياس وقليل في الاستعمال.

- المحال: قد يكون سليما في القياس والاستعمال ولكنه غير سليم من حيث المعنى

2) مبدأ الأصل والفرع:

يرى الأستاذ أنهما نتيجة لتصور تراثي بين العناصر اللغوية، يفيد أن كل كيان لغوي إما أصل يبنى عليه غيره، أو فرع يبنى على أصل أو أصول.

وحدة لغوية أصل: عنصر ثابت.

وحدة لغوية فرع: وحدة لغوية أصل زائد (+) زيادة (تحويل).

3)مبدأ القياس:

يقول الأستاذ أن القياس كما صدر للفعل قاس، هو تلك العملية المنطقية الرياضية التي سميناها تفريعا عن الأصل على مثال سابق .....، أما القياس كاسم من حيث المنطق الرياضي، هو تكافؤ العناصر في البنية، وهو نتيجة تطبيق مجموعة على مجموعة بعد التقابل النظري.

الباب: يحوى النظائر (نظائر بعضها لبعض، كل واحد منها هو المقابل والمساوي في الصيغة لجميع عناصر الباب .

4) مبدأ الانفصال والابتداء:

الاسم المظهر بالعربية الذي يسكت عنده وليس قبله شيء، هو الاسم الذي ينفصل و يبتدأ

5) مبدأ العامل:

ويتجلى هذا المبدأ في الكلام الذي يتفرع منه تراكيب جديدة مشتقة منه عن طريق التحويل بالزيادة، و يكمن هذا المبدأ في التعبير عن العلاقات بين الأجزاء التركيبية للجملة باعتباره محددا لوظائفها التركيبية الدينامكية.

رياضيات اللسانيات الخليلية و استفادة اللسانيات الحاسوبية منها:

تعد اللسانيات الحاسوبية أو علم اللغة الحاسوبي من العلوم المعرفية البينية التي جمعت بين علم اللغة وعلم الحاسوب، عن طريق معالجة اللغة آليا في جميع مستوياتها النحوية والصرفية والصوتية والدلالية، فهو « علم متخصص في دراسة اللغات و معالجتها بشكل تطبيقي لخلق برامج وأنظمه معلوماتية ذكية، يتحدد دورها في مساعدة مستخدم الحاسوب على حل بعض الأمور المتعلقة باللغة و بالمعلومات الرقمية»[7]، وقد تعددت مسمياته منها تكنولوجيا اللسان وعلم اللغة الحاسوبي والهندسة اللغوية ... وغيرها لجمعه بين شقين؛ نظري يبحث في النظريات الصورية للمعرفة اللغوية، وشق تطبيقي يبحث في العمليات الرياضية الخوارزمية، ويهتم هذا الجانب بالناتج العلمي لنمذجة الاستعمال الإنساني للغة[8]، فتعددت مجالات تطبيقاتها بدءا بالمعالجة الآلية للنصوص لتبلغ مجال الذكاء الاصطناعي، وهو « فرع من علم الحاسوب يهدف إلى وضع نماذج حاسوبية للإدراك الإنساني»[9] والذي لا يزال العلم الحاسوبي يقوم بتطويره إلى يومنا هذا، من أجل تحسين جودة محاكاة الآلة للعقل البشري.

تسعى النظرية الخليلية الحديثة إلى معالجة اللغة آليا من خلال مبادئها وأسسها التي ظهرت عند الخليل، قبل تأكدها في النظريات الغربية الحديثة، ويضرب لنا الأستاذ الحاج صالح عدة أمثلة تفصيلية يؤكد فيها من خلال النظرية، الصياغة الرياضية كما تقتضيه المعالجة الآلية الالكترونية للغة الطبيعية.

يؤكد الأستاذ على أن النظرية اللغوية التي يعتمد عليها المعالج يجب أن تكون هي نفسها دقيقة؛ لها لغتها الدقيقة، ومن ثم مفاهيم لا غموض فيها، غير أن الكثير من اللغويين العرب حاولوا استخراج نظرية بالنسبة

للعربية بتطبيق النظريات البنيوية ،والتوليدية على العربية بأدنى تكييف، وبدون تمحيص لها إطلاقا؛ أما ما يراه الأستاذ أن مثل هذه النظرية موجودة أصولها ومفاهيمها في النحو العربي الأصيل، أي ما تركه لنا أمثال الخليل وسيبويه ومن تلاهما، ويتضح ذلك بإعادة قراءة التراث ليس على ضوء النظريات الحديثة فقط، بل بدراسة ابستيمولوجية دقيقة لمفاهيمهم و تصوراتهم، وطرق تحليلهم، وبدون إسقاط أي تصور آخر كتصور النحاة العرب المتأخرين، أو تصور الغربيين عليها[10]؛ ويردف الأستاذ قائلا :" أن الدراسات والبحوث العلمية في اللسانيات الرتابية أو الحاسوبية ازدهرت في الوطن العربي في هذه الآونة، وتكاثر إلى حد ما الباحثون في هذا الميدان ... إلا أن الطريق الذي يسير عليه علماؤنا وباحثونا لا يزال طويلا وشاقا، والذي نقصده ومن ورقتنا هو أن نساهم ولو مساهمة متواضعة في اختصار هذه الطريق و توفير الجهود ما أمكن»[11]؛ ... وما أدى بالأستاذ إلى الاجتهاد في هذا الطرح العلمي اللغوي هو اقتناعه بثلاثة أشياء[12]:

- أن هذه البحوث تحتاج إلى أن يشترك فيها اختصاصيون ينتمون إلى آفاق علمية مختلفة.

- أن النظريات اللغوية الحديثة التي تنبثق من اللسانيات الحديثة غير كافية خصوصا و أنها استنبطت أهمها من التأمل في اللغات الأوربية خاصة.

- أن ما تركه النحاة العرب الأولون شيء عظيم، وجد مفيدا لا سيما بالنسبة للسانيات الحاسوبية التي تعتمد على الرياضيات و المنطق الرياضي.

يبدو تأثر الحاج صالح بشخصية الخليل واضحة في بحوثه، إذ أنه معجب بعبقريته أيما إعجاب، وبفكره العلمي لاختراعه علم العروض بل أكثر من ذلك، لأنه « جاء بأفكار علمية عظيمة جدا غير العروض، وذلك كالمفاهيم التي ظهرت في الرياضيات باسم العاملي، والزمرة الدائرية، وهما الفكرتان اللتان بني عليهما أول معجم عربي أخرج للناس وهو كتاب العين»[13]، فيرى الأستاذ من خلال استقرائه للتراث اللغوي الخليلي أن العلماء العرب أسبق في وضع المفاهيم الرياضية للغة العربية، والتي يجب أن تخضع لنظرية لغوية خاصة بها تحقق توصيفها حاسوبيا وفق طبيعتها، ولعل إخضاع اللغة

العربية إلى النظريات الغربية الحديثة هو السبب المباشر في صعوبة معالجاتها آليا. والمتأمل في منهجية الخليل، يرى أن الفراهيدي كان « يميز بين ما هو عربي خالص وما هو مشترك بين العرب وغيرهم، ويقف على ما كان يألفه العرب وما لم يألفوه من تمازج بين الحروف، ومن عادات صوتية تعودها العرب، فاستطاع وهو يصرف النظر في اللغة أن يستبعد منها الكلمات التي تتألف من أصوات لا تنطق بها ألسنتهم ولا يألفها حسهم، كما إذا اجتمع فيها خاء وغين، أو خاء وهاء، أو قاف وكاف، أو قاف وجيم ، إلى غير ذلك مما كان الخليل يرى أنه ليس من طبيعة لغتهم»[14]، وهذا الذي كان يجب أن يحذو حذوه العلماء القدامى والمحدثون، والذي يؤكده عبد الرحمان الحاج صالح من أجل التميز بنظرية نحوية وضعت على أسس ابستمولجية مغايرة تماما لأسس اللسانيات البنيوية.

وفي ما يلي، سندرج بعض الأمثلة اللغوية الرياضية التي استنبطها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من التراث اللغوي، وكيفية الاستفادة منها حاسوبيا، لأن الهدف الأسمى في اللسانيات الحاسوبية هو معرفة كيفية تطويع اللغة الحاسوبية من خلال فك خوارزميات الجملة العربية في بنياتها التركيبية، لذلك يجب أن يكون الحاسوبي اللغوي متمكن من اللغة والتقانة الحديثة، ويؤكد محمد الحناش ذلك في قوله « أن اللساني الذي نحتاج إليه في وضع برامج اللسانيات الحاسوبية هو المتمكن من مختلف التطورات النظرية التي تعرفها اللسانيات الصورية اليوم، القادر على وضع الخوارزميات اللسانية لمختلف مستويات نظام اللغة العربية، وهذا النوع من الباحثين هم الذين سيتمكنون من الدفع باللغة العربية إلى مصاف اللغات العالمية في الحوار مع الآلة»[15] فعمل اللساني في اللسانيات الرياضية الموجهة لحوسبة اللغة العربية يكون على النحو الآتي : الوصف والاستنتاج يتم فيه الكشف عن الأوجه الرياضية للغة، ثم عملية التوصيف، أي الصياغة الرياضية للنتائج، وأخيرا عملية التوصيف البرمجي ويتم فيها بناء خوارزميات الظواهر اللغوية[16]

.

تميز الأستاذ الحاج صالح بالخبرة اللغوية والحاسوبية ذلك ما وفقه للكشف عن مفاهيم رياضية خوارزمية مكنونة في التراث العربي ومنها:

النظرية اللغوية العامة ومستلزمات التحليل اللغوي:

ظهرت منذ الربع الثاني للقرن العشرين كثير من النظريات العامة التي تتطرق إلى التحليل اللغوي كالنظرية البنيوية ونظرية الاستغراق الأمريكية، ثم نظرية النحو التوليدي التي تزعمها نوام تشو مسكي، والذي يرى أن « المهم في تحليل اللغة في تصور النحو التوليدي ليس هو الجانب السلوكي الظاهري الذي لا يمكنه بأي حال من الأحوال أن يقدم صورة حقيقية في السلوك اللغوي مهما كانت دقة التحليل وموضوعيته، ولكن المهم هو البحث في العمليات الذهنية الضمنية المتبعة في اكتساب اللغة و تعلمها واستعمالها »[17]، وكانت هذه النظرية أقرب النظريات إلى اهتمامات المهندسين في الرتابيات، لأن تشومسكي من اللغويين الذين تزودوا بالمعلومات الرياضية في أحدث صورها؛ يقول الأستاذ: أن كل ما ذكر في النظريات السابقة يوجد بها تحليل لغوي منطقي إلا انه في منتهى السذاجة، عدا ما توصل إليه تشومسكي جوهره التحليل الأفقي فقط على خط مستقيم، أي يراعي فيه التسلسل فقط والتحليل العمودي البسيط فقط، أي استبدال قطعة من أخرى دون مراعاة القرائن في بنيتها؛ أما التحليل العربي فهو أفقي وعمودي معا، يقع على المحورين في آن واحد، أي يراعي في نفس الوقت القرائن اللفظية التي تكتنف الوحدة، وكل الوحدات التي يمكن أن يقع موقعها، وبذلك يتوصل إلى شيء مفيد جدا، وهو مفهوم **المثال** أو **الحد** وهو بنية تندرج فيها عدة وحدات، وبذلك توصلوا إلى إثبات مستوى مركزي وهو مستوى **اللفظة** فمنها الاسمية ومنها الفعلية[18].

القسمة التركيبية:

يقول الأستاذ: أن القسمة التركيبية عند النحاة العرب وخاصة الخليل، غير اندراجية لأنها في الواقع استفراغ لجميع التراكيب التي تحتملها المجموعة من العناصر، مثل الحروف الأصول للكلام، لقد وضع الخليل ما يسمى الآن بالجبر التركيبي، فنجد مثلا الثلاثي فيه ستة

احتمالات في تركيب حروفه والرباعي فيه أربعة و عشرون احتمالا؛ فالنحاة الخليليون القدامى يجعلون القسمة التركيبية منطلقا، ثم يحددونها بالحدود الإجرائية، أي لا يعتبرون في المجموعة المتناهية من التراكيب المحتملة إلا تلك التي تستنتج بالقياس، فمن هذا المنطلق توصل الخليل إلى مفهوم ما يسمى الآن بالعاملي، ومفهوم الزمرة الدوارة[19].

ذكرنا في هذا العنصر بعض المفاهيم على سبيل المثال لا الحصر، والتي استنبطها الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من التراث اللغوي من منظور لساني حاسوبي رياضي محاولا بذلك الوصول إلى كيفية معالجة اللغة العربية آليا انطلاقا من نظرية لغوية عربية دقيقة ذات مفاهيم لا غموض فيها.

الخاتمة:

سعى الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح إلى التحليل الآلي للغة العربية ونظامها بإحياء المبادئ الخليلية، ليبرز الأسس المركزية للنظرية الخليلية الحديثة من منظور حاسوبي رياضي خوارزمي كالقسمة التركيبية، والزمرة الدائرية، و مفهوم العاملي، والابتداء والانفصال، والحد و المثال، وغيرها مما هو موجود في اللسانيات الخليلية الرياضية التفاضلية التكاملية، للوصول إلى نظرية لغوية عربية تسهل تطويع اللغة العربية في الحاسوب لترتقي إلى مصاف اللغات الرائدة علميا.

الهوامش والإحالات:

1 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، ج1، ص 07

2 ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، المدرسة الخليلية الحديثة و الدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، موفم للنشر، الجزائر، 2012، ص 208.

3 عبد الرحمان الحاج صالح، تقديم شوقي ضيق، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص8

4 عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، منطق النحو العربي و العلاج الحاسوبي للغات، ص27

5 للمزيد من التوسع في المبادئ ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ص 218، 219، 231.

6 سيبويه، الكتاب،ج1، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988، ص 25.

7 سناء منعم، مصطفى بوعناتي، اللسانيات الحاسوبية و الترجمة الآلية بعض الثوابت النظرية و الإجرائية، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2005، ص 93.

8 ينظر: المرجع نفسه ص 93.

9 نهاد الموسى، العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، دار الفارس، الأردن، ط1، 2000، ص53.

10 ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، منطق النحو العربي و العلاج الحاسوبي للغات، ص 334.

11 عبد الرحمان الحاج صالح بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، المدرسة الخليلية الحديثة و مشاكل علاج العربية بالحاسوب، ص 230- 231.

12 المرجع نفسه، ص 231.

13 المرجع نفسه، ص 241

14 مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله و منهجه، مطبعة الزهراء، بغداد، 1960، ص160.

15 قاسي الحسني عواطف و يحي فارس بالمدية، نقلا عن محمد الحناش، اللغة العربية و الحاسوب قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية أو مقاربة في محاكاة

الدماغ العربي لغويا، محاضرة في جامعة الإمارات العربية المتحدة، قسم اللغة العربية و آدابها أكتوبر 2002.

16 ينظر: قاسي الحسني عواطف و يحي فارس بالمدية، اللسانيات الخليلية الرياضية، و آفاقها الحاسوبية، أعمال ندوة وطنية، اللغة العربية و التقانات الجديدة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2018، ص85.

17 مصطفى غلفان و آخرون، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدوني مفاهيم و أمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن،2010، ص 10.

18 ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية ج2، العلاج الآلي للنصوص العربية و النظرية اللغوية مبادئ و أفكار صادرة عن التجربة في الميدان، ص 87- 88- 89.

19 ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، النظرية الخليلية الحديثة و علاج العربية بالحاسوب، ص 246- 247.

التأصيل التراثي للمصطلح اللّساني الحاسوبي عند عبد الرّحمن الحاج صالح

Rooting the heritage-based computational linguistic term according to Abderrahmane Hadj Salah.

نسرين صايفي .طالبة دكتوراه
مخبر اللسانيات النصية و تحليل الخطاب
د . هنية عريف
جامعة ورقلة
Saifi.nesrine@gmail.com

الملخص:

كُلّلت رحلة البحث اللّساني التأصيلي التي قادها عبد الرحمن الحاج صالح بالنّجاح الباهر الذي أفحم اللغويين، وأقنعهم بضرورة العودة إلى التراث العربي، واستقرائه، وإعادة بعثه، وعليه ارتأيت البحث في ما جاء به عالمنا الفذّ من مصطلحات تراثية في مجال علم اللّغة الحاسوبي، من خلال كتابه بحوث ودراسات في اللّسانيات العربية، معتمدة الوصف والتحليل لإبراز منهجه التأصيلي.

الكلمات المفتاحية: علم اللّغة الحاسوبي، المصطلح اللّساني الحاسوبي، التأصيل، الثراثي، عبد الرحمن الحاج صالح.

Abstract:

The rooting linguistic researched by Abderrahmane Hadj Salah was crowned with success and scored the touchdown. This has overwhelmed linguists in argument, and convinced many scholars to return to the Arab heritage, extrapolate it, resurrect it, and revive it. This, in return, motivated me to conduct a study on what our nonpareil scholar has come across, concerning authentic heritage-based term enology in the field of computational linguistics, whichissited in the two volumes of his book « Research and Studies in Arabic Linguistics ». I used descriptive and analytical methods, in order to trace the rooting heritage-based approach which Hadj Salah adopted in his usage of the computational linguistic term.

Key words :Computational linguistics, computational linguistic term, the rooting, heritage-based, Abderrahmane Hadj Salah.

مقدمة:

إنَ المتأمل في المنجز اللَساني عند عبد الرحمن الحاج صالح، يلحظ تميّزه بفكره المتأصل، الذي تجلى في اهتمامه بالتراث العربي قراءة، واستعابا، وبعثا، فسيرورة البحث العلمي لدى الحاج صالح واطلاعه الواسع على الفكر اللساني الغربي، شكَل لديه وعيا معرفيا بضرورة رسم ملامح للسانياتٍ عربيةٍ حديثةٍ، تستند إلى مصادر تراثية أصيلة، وعلى هذا الأساس خاض عالمنا الفذ الكثير من الفروع اللسانية، يطمح من خلالها إلى ترقية اللغة العربية، والمضي بها قدما لمواكبة العصرنة، واستغلال كل ما يمكن أن يضيف لها ويدفع بها إلى مصاف المنافسة اللغوية.

واللّسانيات الحاسوبية بوصفها علما حديثا يعالج تطويع الحاسوب لخدمة اللّغة، أضحى من أهمّ المجالات التكنولوجية التي لا يمكن الاستغناء عنها لما يقدمه الحاسوب من خدمة للبشرية، فأصبح هذا الأخير من أكبر التحديات التي تواجهها اللغة العربية، وفي هذا المقام رأينا الحاج صالح ينهل في الدراسة الاصطلاحية الحاسوبية، ويستعمل مصطلحات عربية أصيلة، تثير اهتمام الباحث اللساني لتتبع مرجعيتها وكيفية إنشائها، باعتبار المصطلح وحدة أساسية من وحدات لغة العلم، والركيزة المتينة التي يُبنى عليها صرحه، ولتحليل أعمق للموضوع، جاء هذا البحث في محاولة للإجابة عن تساؤلات أهمّها:

- ما هي الأسس العلمية التي يعتمدها الحاج صالح في تأصيله للمصطلح اللَساني الحاسوبي؟ أو هل يتّخذ الحاج صالح شروطا معينة في وضعه للمصطلح اللّساني الحاسوبي؟ وما هو هدفه المرجو للتأصيل التراثي في مثل هذه الدراسات؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة، يجدر بنا أولا تزويد القارئ بخلفية نظرية لمفاهيم الدراسة.

مصطلحات الدّراسة ومفاهيمها:

مفهوم المصطلح: من بين التعريفات التي وردت حول مفهوم المصطلح أنه : «عبارة عن اتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وهو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل الاصطلاح: اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل الاصطلاح لفظ بين قوم معينين»[1].

وهناك من يرى أنَ: «المصطلح جزء من المنهج العلمي، ولا يستقيم منهج إلا إذا قام على مصطلحات دقيقة تؤدي الحقائق العلمية أداءً صادقا»[2].

ومما سبق من التعريفات نخلص إلى أن المصطلح يقوم على عنصرين أساسين: الاتفاق والارتباط (اتفاق الجماعة، وارتباط بالتخصص).

فلكل علم أو ميدان مصطلحاته ومفاتيحه التي تبدّد ما استغلق فهمه، لذلك فهي عامل مهم ولبنة أساسية تنبني عليها العلوم، وتعدّ دليلا قاطعا على قيامها بذاتها، فمصطلحات العلوم ثمارها القصوى، وهي مجمع حقائقها المعرفية، وعنوان ما يُميّز كل واحد منها عما سواه، وليس من مسلك يتوسّل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه الاصطلاحية، فإذا استبان خطر المصطلح ـفي كلّ فنّ توضح أنّ السّجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع المانع[3].

وانطلاقا من مفهوم المصطلح تتبين أهميته ودوره في بناء العلم وتطوره، وعليه حمل العديد من جهابذة اللغة العربية على عاتقهم مسؤولية المصطلح اللَساني العربي، فكان عبد الرحمن الحاج صالح يراهن على أن تستفيد الفصحى من النظريات السائدة اليوم ـفي مجال البحث اللساني، لتكون بمصطلحاتها علما مجددا قائما بذاته يواكب الحياة الراهنة[4].

مفهوم اللّسانيات الحاسوبية: يعرفه نهاد الموسى بأنه «نظام بيني بين اللسانيات وعلم الحاسوب المعني بحوسبة الملكة اللغوية. وهي تنتسب إلى

العلوم المعرفية وتتداخل وحقل الذكاء الاصطناعي وهو فرع من علم الحاسوب يهدف إلى وضع نماذج حاسوبية للإدراك الإنساني»[5].

فهي علوم حديثة وتوجه علمي جديد، من أحدث التوجهات التي تستخدم الحواسيب في كتابة النصوص اللغوية، وتحويلها إلى لغات الحاسب الرقمية لتحليلها، حيث تسهم في سهولة دراستها كما تقوم بترجمتها، وهذا ما يساعد في فهم خصائص النصوص اللغوية محل الدراسة، ويطلق عليها في بعض المراجع علوم اللغة الحاسوبية[6]، وتعتمد اللسانيات الحاسوبية على جانب تطبيقي وآخر نظري، فالتطبيقي يهدف إلى إنتاج برامج ذات معرفة باللغة الإنسانية، أما النظري فيتناول النظريات الصورية للمعرفة اللغوية التي يحتاجها الإنسان لتوليد اللغة وفهمها[7].

إذن علم اللّغة الحاسوبي ميدان واسع جدا، تتلاقى فيه علوم اللسان وعلوم الحاسوب وتتكاثف فيه جهود اللغويين وجهود التقنيين، من أجل تطويع الحاسوب وبرامجه وأنظمته لخدمة اللّغة، وجعل هذه الآلة تحاكي الدماغ البشري في إنتاج اللّغة الإنسانية.

الجانب التطبيقي:

أولا- إجراءات الدراسة وأدواتها:

أ- عينة الدراسة: للقيام بهذه الدراسة عدت إلى كتاب العلامة عبد الرحمن الحاج صالح: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربية" بجزئيه، وبعد معاينته وتفحُّصه، وضعت يدي على مجموعة من المصطلحات اللسانية الحاسوبية التي استعملها الحاج صالح، حيث لاحظت أنها تسميات أصيلة تحمل معاني لغوية تراثية، مقارنة بمصطلحات أخرى يُلحظ فيها الحداثة، سواء كان تعريبا أو ترجمة، ثم قمت باختيار بعض المصطلحات للدراسة، نظرا لتوفر مادتها البحثية.

ثم اتبعت بعض الخطوات المنهجية في تقصي كيفية وضع المصطلح، بناء على ما أوجبه الحاج صالح من شروط، وذلك من خلال قوله: «أمّا مقاييس وضع المصطلح وإقراره، فأوّل ما يجب على واضع المصطلح أن

يفعله هو أن يطرح على نفسه وعلى زملائه هذا السؤال الوجيه، هل عرف العلماء قديما هذا المفهوم أو ما يقرب منه، و ما هو المصطلح الذي استعملوه بالفعل للدلالة عليه؟ فإن كان الجواب بنعم، فينبغي أن ينظر في جميع سياقات هذا اللّفظ القديم في مصدر معروف أو أكثر من مصدر، ويستنتج من ذلك المعنى المقصود من استعمالهم له، فإن طابق المفهوم الحديث فبها و نعمت»[8].

وعليه قمت بداية بتحديد مفهوم المصطلح عند الحا صالح، وكيفية وروده في مقالاته، وتقصّيت المواضع الأخرى من استعماله لفهم معنى المصطلح جيدا، ثم عدت به إلى المعاجم اللغوية لتحديد التعريف اللغوي الأولي من أجل اكتشاف إيحاءة اللفظة وعلاقتها بالاستعمال الوظيفي.

ب ـ المنهج المتبع: لمقاربة هذا الموضوع اتبعت المنهج الوصفي مستعينة بأداة التحليل، بمعنى وصف وتحليل للمصطلح واستنباط ما يمكن استنباطه من معانٍ و علاقات دلالية وظيفية، لأجل إبراز الأسس العلميّة المعتمدة عند الحاج صالح في استعماله وتبنيه لهذه المصطلحات.

ثانيا- أهم المصطلحات اللّسانية الحاسوبية عند الحاج صالح:

حاول الحاج صالح في دراسته الجمع بين التراث النحوي العربي واللسانيات الغربية الحديثة، إذ «لا سبيل إلى تأسيس بحث لساني عربي بملامح عصرية إلا بالرجوع إلى علم النحاة الأوائل، وتطعيمه بالعلوم الدقيقة، والمناهج اللّسانية الحديثة»[9]، فبذل جهودا جبارة للتعريف بالتراث اللغوي الأصيل، وتنبّه في الوقت ذاته لقضية المصطلح اللّساني عامة، واجتهد أيضا في المصطلح اللّساني الحاسوبي للحفاظ على خصوصية اللّغة العربية رغم حداثة العلم، ليبرهن في كل مرة على مرونة العربية في كلّ العصور، ومن بين المصطلحات التي وقفنا عليها بالدراسة والتحليل نجد:

الرتّاب (الحاسب الالكتروني): تردّد استعمال الحاج صالح لهذا المصطلح كثيرا وكان يقابله لمصطلح الحاسوب، كقوله مثلا: «اللسانيات الرتّابية[10]، المهندسين الرتّابيين[11]، الرتّابيات[12] ..»، وفي موضع آخر يقول

إنّ: «أوفق آلة لدراسة هذه الأشياء هي الرتّاب، لأنّها تقوم بعمليات ترتيبية من نوع العمليات التحويلية: ترتيب معلوم بحيث يتوصل به إلى مجهول: فالرتّاب يتلقى جملة من المعطيات وجملة من القواعد لإجراء العمل، فيطلب منه الباحث أن يقوم بعمل للوصول إلى نتيجة معيّنة وذلك بإعطائه عددا من التعليمات بلغة خاصة يفهمها، ومرتبة الترتيب اللازم، ومجموع هذه التعليمات المرتبة هي المسمى بالبرنامج، هذا ويستطيع الرتّاب أو (الحاسب) ببرنامج خاص أن يستخرج بكيفية آلية كل صيغ الكلمات التي توجد في نصّ من النصوص وفي نفس الوقت المواد الأصلية التي صيغت فيها»[13].

يبدو أن الحاج صالح تناول المصطلح وأدلى بمفهومه من خلال ما يقوم به من ترتيب وتحويل للعمليات المختلفة، ذلك عند حديثه عن البحث في الصيغ والأبنية بالاعتماد على المعلوميات، وإذا عدنا إلى التعريف اللغوي الذي حمله هذا المصطلح، فنجد أنَ رتَّاب: اسم آلة على وزن فعَّال، من فِعل رتَّب، وقد جاء في لسان العرب «رتبَّ الشيء يَرْتُبُ رُتوبًا وتَرتب، ثبتَ فلم يتحرك. يقال: رَتبَ رتُوبَ الكعب أي انتصب انتصابة، ورتَبهُ ترتيبًا: أثبتهُ ... والتُرْتُبُ والتُرْتَبُ كله: الشيءُ المقيم الثابت .. والرتباءُ: الناقة المنتصبةُ في سيرها»[14].

إنَ المعنى المعجمي للفعل رتب يكمن في الثبات، والشّدة والاستقرار، ولا تجتمع هاته المعاني الثلاثة إلاّ إذا توفر برفقتها عامل القوة والمتانة والصلابة، ويتضح جليّا أنّها تتطابق مع خصائص عمل الحاسوب، الذي جعل له الحاج صالح مسمى الرتّاب على صيغة المبالغة فعّال للتكثير والتفعيل من قوة عمله بدل مسمى الحاسوب؛ ذلك لسعة تخزينه واستقرار مدخلاته ومخرجاته فيه وسرعة ودقة معالجته للبيانات.

الآلة و الآيّالة Robot: جاء الحاج صالح بمصطلح الآيّالة كمرادف للآلة عند حديثه عن التركيب الاصطناعي للكلام حيث قال: «وقد توصّل العلماء في التركيب الاصطناعي إلى نتائج رائعة، إذ أصبح من الممكن أن تنطق الآلة و الآيّالة Robot»[15].

والآيّال في لسان العرب:« مصدر آل يؤول أوْلا و آيّالا، و الآيّال: اللبن الخاثر»[16]، و«آل مالَهُ يؤوله إيّالة إذا أصلحه و ساسه»[17]، «والآيل مثل العائل اللبن المختلط الخاثر الذي لم يفرط في الخثورة .. يقال: آل يؤول أولا وأوولا، وقد ألتهُ أي صببتُ بعضه على بعض حتى آل وطاب و خثر ... وإنّه لآيل مال وأيّل مال أي حَسَنُ القيام عليه .. وآل عليهم أوْلا وإيّالا وإيّالة: ولّى»[18].

إذن يحمل مصطلح الآيالة معنى التأويل والتحويل وحسن القيام على الشيء والتولية عليه، وهذا ما تقوم به الآلة من تحويل وتأويل أثناء عملها في التركيب الاصطناعي للكلام لإعادة النطق به، فما يحدث في هذه الآلة من حسن تركيب وبناء وعمل محكم، وخطوات عملية، فيه ما فيه من الشدة والقوة وهي نفسها الصفات والميزات التي تتصف بها الآلة، ولفظة الآيالة قريبة المعنى للآلة، وإنما اهتمام الحاج صالح بالمصطلح التراثي وتأثره بضرورة إحيائه هو مبدأ ودرب دأب على السير فيه، حيث يقول: «...فما يمنعنا أن نبحث عن كلمة عربية في التراث قريبة المعنى من المفهوم المحدث أو نلجأ إلى الاشتقاق وغيره من وسائل الوضع اللغوي... فالرجوع إلى التراث هو شيء طبيعي تفعله جميع الشعوب وخاصة شعوب أوروبا، فللعربية تراث حضاري ربما لا تضاهيها في ذلك أية لغة في الدنيا، ومعاجم العربية وحدها تزخر بالآلاف من الألفاظ الحضارية، يمكن استرجاعها وإدخالها في الاستعمال من جديد»[19].

الزمرة (groupe):تحدّث الحاج صالح عن مفهوم الزّمرة أثناء حديثه عن الأنماط الرياضية والأدوات الحاسوبية المستعملة في هذا الميدان وفي البرمجيات خاصة؛ حين قال: «ولفت نظر الإخوان إلى أهمية مفهوم الزمرة groupe كمفهوم رياضي يستطيع أن يستوعب الأنماط اللغوية المعقدة»[20].

وتتمثل الزمرة في مجموع من العمليات المرتبة في شكل رياضي تؤدي إلى نتيجة معيّنة ومقصودة تخص حقلا ما، مثل ميدان التربية الذي يهدف المربي إلى تحصيل مهارات في مادة معيّنة، فتكون له مجموعة من المثل والأنماط التي تحمل إجراءات مرتبة ومنظمة تسهل العمل والفهم

للتلاميذ، وفي ميدان العلاج الآلي للمعلومات فهي عمليات إجرائية رياضية تسهل لبناء البرمجيات[21].

فالزمرة هي صياغة لغوية رياضية، أو نمط يحوي مجموعة من البنى والحدود التي تسهل أجرأة المفهوم في الحاسوب، ويقابلها في العلم الحديث مصطلح المنوئيد، غير أنَ مصطلح الزمرة استنبطه الحاج صالح من النظرية الخليلية حين قال: «إنّ تحليل بن أحمد الفراهيدي يعرف باختراعه للعروض، وقد يجهل أو يتناسى الكثير من الناس أنّه قد جاء بأفكار علمية عظيمة جدا غير العروض، وذلك كالمفاهيم التي ظهرت في الرياضيات باسم العاملي (Factoriel) والزمرة الدوارة (cyclic group) والفكرتان اللتان بنى عليهما أوّل معجم عربي أُخرج للناس وهو كتاب العين»[22]، وقد جاء في معجم الوسيط أنّ: «الزمرة: الفوج والجماعة»[23]، ولا شك أنّ لكل جماعة وفوج ميزة تجمعهم وتجعلهم متآلفين فيما بينهم مختلفين عن غيرهم.

وقد جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزمر الآية 70، وجاء في التفسير «الزمر جمع زمرة وهي الفوج من الناس المتبوع بفوج آخر فلا يقال مرت زمرة من الناس إلّا إذا كانت متبوعة بأخرى، وهذا من الألفاظ المفيدة»[24].

ومنه حملت الزمرة (groupe) من معناها المعجمي أنّها تتألف من مجموعة مُثل، تصف اللغة في مستوى من المستويات، وكل زمرة تخص حقلا معينا، تخدم المُثل فيها هذا الحقل أو الميدان.

المُثل (schéma générateur) أو (generator pattern):
استعمل الحاج صالح هذا المصطلح في مواضع عديدة من كتابه بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منها قوله: «إنّ هذا الحدّ الصوري الإجرائي الذي تتحدّد به العمليات المحدثة للوحدات ومن ثمّ المحددة لها من وجهة نظر النحو نتج عنه، كما رأينا، صورة تفريعية طردية عكسية تنطلق من أصل ما لا نهاية من فروع، ويسميها نحاتنا المتقدمون مثالا(يجمع على مُثل غالبا)»[25]، وفي موضع آخر يقول عن المثل: «أمّا التحليل العربي فهو أفقي وعمودي

معا، يقع على المحورين في آن واحد، أي يراعي في نفس الوقت القرائن اللفظية التي تكشف الوحدة وكل الوحدات التي يمكن أن يقع موقعها، وبذلك يتوصل إلى شيء مفيد جدا وهو مفهوم المثال أو الحد وهو بنية أو صيغة تندرج فيها عدة وحدات.. والغريب أنّه لا يوجد هذا المفهوم (المثال: الحد: البناء: الزنة) في اللسانيات الغربية»[26].

وفي المعنى اللّغوي: «...مثّل له تمثيلاً وامتثله وتمثّلهُ وتمثلَ بالشيءِ، ضربه مثلا، والمثال المقدار.. وصفه الشيء.. والتمثيلُ بالكسر: الصورة.. ومَثَّلهُ له تمثيلاً صوره له حتى كأنه ينظر إليه... »[27]، فالمُثل مجموعة قوالب تصف النّظام اللغوي، وتوضح القاعدة وتبسطها، وهو مصطلح تراثي قديم وضعه علماؤنا المتقدمون، فقد سبق هؤلاء العلماء في وصف النظام بدقة متناهية، محللين الكلام إلى مادته الأصلية بكل فروعه وصيغه، فوضعوا بذلك مثلا لمختلف مستويات النظام اللغوي (النحوي والصرفي والتركيبي)، وهذا ما أشار إليه الحاج صالح موضحا أهميته وإمكانية الاستفادة منه في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية بشكل أكثر يسر وسهولة، فمثل هاته التحليلات العربية الأصلية «تساعد المهندسين اللسانيين في وضع برمجيات لعلاج المفردات بالحاسوب: حصر كل الصيغ بمدلولاتها من الاستعمال الحقيقي للغة: تصنيف الكلام في شبكات دلالية منظمة وحصر بالتالي للمترادف والمشترك وغير ذلك، والحصر لمدلولات الصيغ سيسهل الوضع للمصطلحات العلمية والتقنية»[28].

إنَ ما قام به الحاج صالح في وضعه للمصطلح اللساني الحاسوبي، وعملية الربط المصطلحي الأصيل بين اللفظة ومعناها وعملها وأصول استعمالها ليس بالعمل الهيَن فـ «إعمال المفاهيم اللسانية في التراث أصعب من تحصيل هذه المفاهيم في حدّ ذاتها وإدراكها في مصادرها، أو نشرها بلسان غير اللسان الذي نشأت فيه يمثل مستوى من الفهم والامتلاك أرقى من الفهم الأوّل، وهو في صعوبته يكاد يضاهي صعوبة ابتكارها من أصلها لأنّه يقتضي من الباحث إدراكا لحقائق العلم في خصائصها المجردة وفي ماهيتها الصّرف مهما كانت الملابسات الطارئة تحف بها»[29].

فما قدّمه الحاج صالح من اجتهادات اصطلاحية تراثية أصيلة هو عمل دقيق ومتمعن، ينمّ عن أصالة هذا العالم الجليل، ونهجه منهج الأوائل في القراءة والتحليل والاستنباط، فوجدناه يعود بالمصطلح إلى عمق التاريخ ويقلبه بين المعاجم اللغوية القديمة كما كان العرب يعودون إلى البوادي للبحث عن العربية التي لم يشبها لحن ولا هجين، وقد أعلن الحاج صالح عن منهجه، واجتهاده في إضافة الجديد للعربية واتباعه القدامى قائلا: «ونحن أتباع لهم في ذلك (مجتهدين لا مقلدين إن شاء الله)»[30].

انطلاقا من قوله هذا، ومن خلال جهوده في مثل هذه الدراسات، التي عكف عليها واعتنى بها أيّما اعتناء، يمككنا تبين هدفه المرجو والطموح في استحداث منهج علمي جديد مستوحى من منهج القدامى لبعث لسانيات عربية حديثة تنافس اللسانيات الغربية، وتبرهن دائما على مرونة العربية، وإمكانية تجدّدها ومواكبة العلوم الحديثة في أوجها، وتفند ما قيل عنها من ضعف وتخلف.

خاتمة:

وفي نهاية هذه الدّراسة التي حاولنا خلالها الوقوف على أهم المصطلحات اللسانية الحاسوبية عند عبد الرحمن الحاج صالح _التي وسعتها صفحاتها_ يمكن تلخيص أبرز النتائج المتوصل إليها في ما يلي:

يعتمد عبد الرحمن الحاج صالح في وضع المصطلح اللّساني الحاسوبي على مجموعة من الأسس العلمية هي:

ـ يعود إلى أمهات الكتب من معاجم لغوية قديمة ويرى ما إذا عرفه القدامى.

ـ ثم يتحرّى جميع سياقاته وكيفية وروده واستعمالاته.

ـ ثم يستنتج المعنى المقصود من خلال مناسبته لوظيفته وعمله المحدد له.

ـ المصطلح اللساني الحاسوبي الأصيل حاضر في دراسات وبحوث الحاج صالح، يثري به المعجم العربي، ويتيح الفرصة في دعمه لمنافسة المصطلح

الغربي، وهذا ما يساعد على إحداث نظريات تمهد في قيام لسانيات عربية حديثة.

ـ تثير هذه الدراسات اللسانية حفيظة اللغويين العرب، وتدفعهم للرجوع إلى التراث العربي، والسير على درب الحاج صالح في نبشه وإزاحة التراب عليه للكشف على بعض القضايا، التي تسهم في إمكانية خوض غمار المنافسة اللغوية.

يدعو الحاج صالح إلى إجراء بحوث واسعة النطاق في الحقل المصطلحي الحاسوبي، وكيفيات وضعه، والعمل على استعماله وذيوعه، فاللغة ليست فقط وضعا، بل هي وضع واستعمال.

الهوامش والإحالات:

1 على بن محمد الجرجاني: التعريفات، تح محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 2004، باب الألف، ص: 27.
2حامد صادق قنيبي: مباحث في علم الدلالة والمصطلح، دار ابن الجوزي، الأردن، (ط1)، 1425 ه/2005م، ص:167.
3 عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، تونس، (د ط)، ص:11.
4 عبد السلام موريدة: أصول بناء المصطلح اللساني العربي عند عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة الممارسات العربية، المجلد11، العدد4، 2000، ص:314.
5 نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 2000، ص:53.
6ينظر: عصام محمود: اللسانيات الحاسوبية العربية، دار الوفاء، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 2015، ص:37.
7 ينظر: نهاد الموسى: العربية نحو توصف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، ص:53،54.
8عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية،ج2، موفم للنشر، الجزائر،(د ط)، 2012، ص:114.
9 ينظر: سعاد شرفاوي: الجهود اللسانية عند الحاج صالح، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2017/2016، ص:40.
10عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 86.
11 المرجع نفسه: ص: 87.
12 المرجع نفسه: ص: 85.
13 المرجع نفسه :ص: 279.
14ابن منظور: لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، (ط1)، 1424 ه /2003 م، ج1، مادة رتب، ص: 477، 478، 479.
15عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص: 92.
16 ابن منظور: لسان العرب،مادة (أيل)، ص41:.

17 المرجع نفسه: ص: 40.
18المرجع نفسه: ص: 42.
19 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 109.
20 المرجع نفسه: ج1، ص: 102.
21 ينظر المرجع نفسه: ج2، ص: 79.
22 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 240.
23 مجموعة من الأساتذة: معجم الوسيط، حرف (الزاي)، ص: 399.
24 الطاهر بن عاشور: تفسير القرآن التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،(ط10)، 1997، المجلد9، ج22، ص: 69.
25 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص: 251.
26 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية: ج1، ص89.
27 فيروز أبادي: قاموس المحيط، حرف (الميم)، ص:1507.
28 عبد لرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص:55.
29 عز الدين محجوب: المنوال النحوي العربي، دار محمد علي الحامي، تونس، (ط1)، 1998، ص: 42، 43.
30 عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، ج1 ص: 247.

مفهوما التحليل والتحويل بين النظرية الخليلية والنظرية التوليدية التحويلية

Two concepts of analysis and transformation between elkhalilya and generative translational theory

مبارك رعاش ـ استاذ محاضر أ
جامعة الجزائر 02
حاج أوباح ـ أستاذ محاضر ب
جامعة الجلفة.
raachhwalid@gmail.com

الملخص:

تنبني النظرية الخليلية الحديثة للعلامة عبد الرحمان الحاج صالح على تعريف الدارسين الناطقين بالعربية وغير الناطقين بها بخصائص علوم اللغة العربية ومضامينها انطلاقا من الدراسات اللسانية الحديثة، وقد أثبت هذه النظرية مدي أهمية إعادة قراءة التراث العربي الزاخر بالكنوز العلمية الصالحة لكل الأزمنة، وهذا لا يعني الانتصار لعلماء اللغة العربية والفخر بهم من طرف الأستاذ الحاج صالح وإنما هو لفت انتباه الدارسين المحدثين والقراء على ما تخفيه نصوص الخليل وسيبويه من قضايا لغوية سبقت زمانها، كما تفسر هذه النظرية للمتحاملين على التراث القديم القضايا اللغوية التي خلفها العلماء القدامى الذين عايشوا الفصاحة اللغوية الأولى.. ،

الكلمات المفاتيح : الخليل ، نظرية، علوم اللغة.

Abstract:

The modern Khalili theory of the professor Abd al-Rahman al-Hajj Salih is based on introducing Arabic-speaking and non-Arabic-speaking learners to the characteristics of Arabic language sciences and their contents based on modern linguistic studies. This theory has proven the importance of re-reading the Arab heritage that is rich in scientific treasures valid for all times, and this does not mean victory for scholars The Arabic language and its pride on the part of Professor Hajj Salih, but it attracted the attention of modern scholars and readers to what the texts of Hebron and Siboyh hide from pre-existing linguistic issues.

Key words elkhlil, theory, language sciences

تمهيد :

تعد النظرية الخليلية الحديثة من النظريات التي تقوم على تعريف الباحثين بأهم خصائص علوم اللغة العربية، وذلك انطلاقا من الدراسات اللسانية الحديثة، وقد أثبت زعيم النظرية هذه النظرية الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح مدى أهمية اعادة قراءة التراث اللغوي الذي يعد زبدة عدة قرون من التفكير اللغوي عند العرب ، وهذا يعني أن الدعائم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة اتجهت الى اعادة قراءة التراث الأصل والبحث في أسراره ليس دفاعا عن القديم، ولا نقدا للحديث ، ولكن من أجل تنبيه القراء والباحثين على أهمية ما توصل اليه الأوائل أمثال سيبويه وشيوخه وتلاميذه في تاريخ علوم اللسان بعد التعرض لحملة النقد من طرف الكثير من البااحثين المحدثين، الذين تأثروا بالنظريات الغربية الحديثة، فكانت نظرتهم الى علوم اللسان العربي من نحو وصرف نظرة قاصرة ، فأدعو أن هذه العلوم معيارية ، فجاءهم الرد من العلامة عبد الرحمان الحاج صالح من خلال نظريته التي فندت كل تلك المزاعم ، وبناء على ما سبق ما هي أهم المفاهيم و المصطلحات التي تقوم عليها هذه النظرية ؟ وماهي الكيفية التي يقوم عليها التحليل والتحويل في هذه النظرية مقارنة مع تحليل نعوم تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية ؟

وسنحاول الاجابة عن تلك الاسئلة من خلال هذه الورقة البحثية

دعائم النظرية الخليلية الحديثة :

يعتبر التراث الذي نهلت منه النظرية الخليلية الحديثة تراثا علميا أصيلا، فهو ذلك العلم الذي تركه علماء اللغة العربية الذين شافهوا فصحاء اللغة العربية ، ووضعوا شروطا صارمة أثناء جمعهم للتراث اللغوي ، مما انتج أكبر مدونة لغوية عرفتها العلوم الانسانية ، فأهم الدعائم والمفاهيم التي قامت عليها النظرية الخليلية نذكر منها :

- مفهوم الاستقامة وما إليها.
- مفهوم الانفراد في التّحليل وما يتفرع من هذا المفهوم.

- مفهوما الوضع والعلامة العدميّة
- مفهوما اللّفظة والعامل.

وإلى جانب هذه المفاهيم يمكن ذكر مفاهيم أخرى متفرّعة عنها، مثل: مفهوم الأصل والفرع، مفهوم التّفريع، مفهوم القياس...

وسنحاول تسليط الضوء على بعض المفاهيم فقط ، ونركز أكثر على مفهومي التحويل والتحليل عند الأستاذ الحاج صالح ، و الاستاذ نعوم تشومسكي ، وفيما يلي توضيح لهذه المصطلحات.

الاستقامة وما اليها :

جاء في كتاب سيبويه الحديث عن الاستقامة التي تقريبا تتأس عليها النظرية النحوية العربية، فميز فيها بين السلامة الخاصة باللفظ، المستقيم الحسن، والمستقيم المحال وذلك في قوله "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس، وسآتيك غدا. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول : أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيد يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر"[1].

وقد حلل الاستاذ عبد الرحمان الحاج صالح دعامة الاستقامة في نظريته الخليلية كالاتي : المستقيم الحسن يعني سليم في القياس والاستعمال، والمستقيم القبيح يعني غير لحن ولكن خارج عن القياس وقليل ، أما المحال يعني قد يكون سليما في القياس والاستعمال لكن غير سليم من حيث المعنى"[2].

ومن أمثلة المستقيم الحسن : قولنا:(سآتيك أمس، وسآتيك غدا)، فالجملتان لا تتعارض مع القواعد النحوية التي تحكم العلاقة بين الفعل أتى، وظرف الزمان الدال على الزمن الماضي أمس، ، و المستقيم القبيح تمثه قولنا : (قد زيدا رأيت، وكي زيد سآتيك) لأن القياس على ما

اطرد في كلام العرب ستوجب أن يكون بعد (قد، وكي) الفعل ولا يكون بعدهما الاسم ؛ وذلك لأن "من الحروف حروفا لا يذكر بعدها إلا الفعل، ولا يكون الذي يليها غيره، مظهرا أو مضمرا فما لا يليه الفعل إلا مظهرا: قد، وسوف، ولما، ونحوهم، فإن اضطر شاعر فقدم الاسم، وقد أوقع الفعل على شيء من سببه لم يكن حد الإعراب إلا النصب"[3].

ومجيء الاسم بعد هذه الحروف يكون في الضرورة الشعرية ، وهذا يعني أن الأمثلة السابقة تبقى في باب الاستقامة ، بالرغم من عدم ورودها في منثور كلام العرب .

الوضع والاستعمال:

اللغة هي نظام من الرموز والعلامات للتواصل بين أفراد المجتمع، والتعبير عن احتياجاتنا ووضعنا، وهي «قبل كل شيء وضع ثم استعمال الناطقين لها[4] ، وهذا ما يحتاج إلى عناية فائقة بالنحو والبلاغة. يقول الحاج صالح: «البلاغة في مظهرها الأول، أي كعلم للمعاني/ هي امتداد لعلم النحو لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد لمعاني النحو وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو».[5].

مفهوم الانفراد وحدّ اللفظة :

أشار الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح الى أن الخليل تفطن الى مفهوم الانفراد وحد اللفظة كما جاء في كتاب سيبويه في قوله : « إنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدا لأنّ المظهر يسكت عنده، وليس قبله شيء ، ولا يلحق به شيء »[6] هذا الاسم الذي فهو الأصل الذي تتفرّع عنه أشياء أخرى. «فالانفصال والابتداء يمكّن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام وبهذا ينطلق الباحث من اللفظ أوّلا ولا يحتاج إلى أن يفترض أي افتراض كما يفعله التوليديون وغيرهم عندما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها"[7] فالتحويل في النظرية الخليلية الحديثة هو الذي يحدّد الوحدات من غير الرجوع الى التفريع الذي ينجم عن التحليل إلى المكونات

القريبة. " ثم إنّ هذه النظرية لا تفصل بين المحور التركيبي ، ومحور الاستبدالات ولا تنظر إلى كلّ واحد منهما على حدة بل تجعل كلّ واحد منهما تابعا للآخر، بحيث تنظر إليهما معا أي في الأعمدة الاستبدالية في مجموعها مراعيا الترتيب التركيبي في الحركة التفريعية التي تنقلنا من الأصل إلى الفروع والعكس. فكلّ هذا يكوّن مجموعة ذات بنية تسمّى بالاصطلاح الرياضي بالزّمر، .وهو أمر خطير جدّا إذ يمكن أن يصاغ الصياغة الرياضية التي تستلزمها في المستقبل الحاسبات الإلكترونية في علاج النصوص"[8].

4 - مفهوم التحليل بين النظرية الخليلية و النظرية التوليدية التحويلية :

يعتبر الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح أن تصور النظرية التوليدية التحويلية للجملة بأنها تنقسم الى مركب اسمي و اخر فعلي هو تصور خاطئ لانه لا يتجاوز النظرة التجزئية التقطعية للغة، فالتوليديون يفترضون أن كل جملة تنقسم الى مركب اسمي و مركب فعلي ، فهم ينطلقون من شيئين هما : مفهوم الجملة بدون تحديد، وافتراض انقاسمها بدون دليل في البداية[9].

وبما أن أصحاب النظرية التوليدية التحويلية ينطلقون في تحليلاتهم للجملة بناء على مفهوم التركيب ، فإن الاستاذ عبد الرحمان الحاج صالح يرى أن هذا التحليل الذي يقوم على هذا الجانب فهو تحليل يمكن أن يكون بين لفظة و أخرى من جنسها أو من غير جنسها ، كبناء لفظة اسمية على لفظة اسمية أخرى ، كما هو الحال في الجمل الأسمية ، أو بناء لفظة اسمية على أخرى فعلية كما هو الحال في الجمل الفعلية ، ويحكم هذا البناء الحاصل بين هاتين اللفظتين المبنيتين العامل الذي يتحكم في بقية التركيب، و يكون الانفصال و الابتداء معيارين أساسين للتميز بين مختلف العناصر الأساسية للجملة[10].

النحاة الأوائل لا يفترضون شيئا كما هو الحال مع التّوليديين بل ينطلقون من الكلام الطّبيعي، أي من الواقع و من الخطاب العادي ما هو أقلّ ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد. فيكون ذلك بالنّسبة لكلام

العرب قطعة صوتيّة مثل (كتاب) هذه القطعة هي في الوقت نفسه كلام مفيد وقطعة لفظيّة لا يمكن أن يوقف على جزء منها مع بقاء الكلام مفيدا، وهذا ما يصفونه بأنّه (ينفصل ويبتدأ). ويختبرون هذه القطعة بحملها على قطع أخرى لها منزلتها؛ أي (تنفصل وتبتدأ). فعبارات أخرى مثل: - (بكتاب) و(بالكتاب) و-(كتاب كبير) كلّ واحدة منها يمكن أن تكون كلاما مفيدا ولا يمكن أن يوقف على جزء منها، ثمّ يرتّبون هذه العبارات على أساس تفريعيّ، أي على أنّ بعضها أصل لبعض[11]".

ومن خلال تحليل عبد الرحمان الحاج صالح هذا نقول أن نظريته تجاوزت النظرية التوليدية التحويلية في هذا الباب من خلال مبدأ الانفصال والابتداء، كما أشارت الى أسبقية النحاة الاوائل في قضية الافادة في الكلام ، فنحاة النص أمثال فتان دايك و هاليداي ورقية حسن في تعريفهم للنص بأنه نسيج ممكن أن يطول أو يقصر فربما ينحصر في كلمة أو في جملة ، وربما يكون في كتاب ، وهذا تكلم عنه النحاة الاوائل كما وضحه الحاج صالح في الانفصال والابتداء .

5- التحليل من خلال ثنائية الانفصال والابتداء للأستاذ الحاج صالح :

نطرح القاعدة التي وضعها الحاج صالح :

[(ع م1) - + م2] + خ :

شرح :

ع : موضع العامل يدخل فيه الابتداء و النواسخ والفعل الناسخ وغير الناسخ

م 1 : يدخل فيه المبتدأ أو الفاعل أو ما يقوم مقامهما.

م 2 : يدخل فيه الخبر أو المفعول أو ما يقوم مقامهما

خ : يدخل فيه الحال والتمييز والجار والمجرور والمفاعيل الأخرى.

3-2- التّحويل بين النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة والنّظريّة النّحويّة العربيّة:

يلجأ نحاة اللغة العربية الى التحويل اذا كان هناك خروج عن الأصل ، حيث يرجع النحوي الفرع الى الأصل ، أما اذا كان الكلام على أصله فهم لا حاجة لهم للتقدير أو التحويل " "وهناك فرق جدير بالذّكر: فقد التزم النّحاة برفض التّقدير إذا جاء اللّفظ على ما يقتضيه بابه أي على أصله فكلّما اتّفق اللّفظ في ظاهره مع الأصل فلا كلام فيه، وهذا بخلاف ما يزعمه أتباع تشومسكي حين عمموا ... مفهوم التحويل التقديري، وجعلوا لكل لفظ ظاهر بنية عميقة ذات دلالة"[12]، وهذا التحليل من طرف الاستاذ الحاج صالح يثبت النظرة العميقة والمعاكسة لأصحاب النظرية التوليدية التحويلية الذين يلجؤون الى التقدير والتحويل لتفسير الكلام الأصلي والفرعي . ويرى الحاج صالح أنّ التّولديّين لم يهتمّوا "إلّا بنوع واحد من التّحويلات، وهي التّحويلات التّقديريّة[13]" التي من شأنها أن تشرح مختلف التغيرات الحاصلة في البنية العميقة في الجملة وتظهر في البنية السطحية ، فالتحويل عند التوليدين يكمن في البنية السطحية والعميقة ، و النحاة العرب التحويل هو عبارة عن تفريع بعض العبارات عن عبارات أخرى تعتبر أبسط منها، وبالتّالي أصولا لها... والأصل عند العرب هو ما يبنى عليه ولم يبن على غيره، وهو أيضا ما يستقلّ بنفسه... أي يمكن أن يوجد في الكلام وحده، ولا يحتاج إلى علامة ليتمايز عن فروعه ... والفرع هو الأصل مع زيادة، أي مع شيء من التّحويل، فالانتقال من الأصل إلى الفرع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد"[14]

6- خاتمة :

وختاما يمكننا القول أن النظرية الخليلية الحديثة هي اعادة قراءة لما تركه العلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه الذي دون أغلب أقوال الخليل العلمية في كتابه، و تجاوز ما ذكره شيخه بتوسيع وتوضيح المفاهيم التي استقاها واستنبطها من خلال الشرح و التعليق ومن أهم النتائج التي توصلنا اليها يمكننا ذكر مايلي : .

ـ ربط الحاج صالح الأصالة بالتجديد، وذلك من خلال احيائه للتراث النحوي القديم المتميز بالمفاهيم والمصطلحات العربية الأصيلة، كما حاول اسقاط المفاهيم الرياضية والمنهج العلمي لا ثبات القضايا المتداولة في العلوم اللغوية الحالية.

ـ من خلال شرح مفهومي التحليل والتحويل في النظرية الخليلية والنظرية التوليدية يمكننا القول أن النظرية الخليلية نظرية فاقت النظريات الغربية، فهي نظرية أصيلة ومتميزة ، فظهر ذلك من خلال تحليل الحاج صالح لكلام نحاة اللغة العربية خاصة ما تعلق بتقسيم الجملة عندهم، و التقسيم الذي نادى به أصحاب النظرية التوليدية التحويلية، و هذا لا ينفي أن النظرية الخليلية تقاطعها مع التوليدية التحويلية في بعض الميادين.

ـ الاشارة الى قضية هامة من طرف الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح المتمثلة في مفهوم النص عند القدماء كممارسة ومفهوم خاصة ما تعلق بمفهوم الكلام وربط بالإفادة ، فالكلمة قد تكون نصا اذا كانت ذات مفيدة ، وهذا يتقاطع مع النظرية النصية الحديثة لهاليداي ورقية حسن ، فالنص عندهما نسيج قد يطول أو يقصر مرتبط بالمعنى فقد يكون كلمة واحدة أو جملة أو كتابا .

الهوامش والإحالات:

1 سيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1407هـ، 1988 م ، 26/25/01
2 عبد الرحمان الحاج صالح ، دراسات و بحوث في اللسانيات العربية ،موفم للنشر، الجزائر ، 2012 ،ج1 ص 217.
3 نفسه ، ص 218.
4 صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية ، دار هومة، الجزائر 2003، ص 107.
5 الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة، دراسات و بحوث في اللسانيات العربية، مرجع سابق ص 383.
6 سيبويه، الكتاب، مصدر سابق ، ، ، 304/02.
7 عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق ص:219.
8 م ن ص:221.
9عبد الرحمان الحاج صالح ، النظرية الخليلية الحديثة ، مفاهيمها الأساسية ، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية الجزائر، ط 1 ،2007، ص 74.
10 عبد الرحمان الحاج صالح ، دراسات و بحوث في اللسانيات العربية ،مرجع سابق ،ج2 ص 16.
11 عبد الرحمن الحاج صالح،: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، المرجع نفسه، ج 1 ص 249.
12 المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ج1، ص216.
13 عبد الرحمن الحاج صالح، المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات الحالية في العالم العربي، المرجع نفسه، ج1، ص212.
14 المقال نفسه، المرجع نفسه، ج 1، ص217.

دراسة مفاهيمية للغة المشافهة وكيفياتها في ضوء النظرية الخليلية

Conceptual Study of Oral Language and its Forms A Through The Khalilian Theory

محمد الأمين هراكي ـ طالب دكتوراه
أ.د: مباركة خمقاني
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب
جامعة ورقلة.
noussarahmene24@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على مفهوم لغة المشافهة والكيفيات التي تؤدى بها لغة التخاطب في الواقع اللغوي، باعتباره أحد المفاهيم المبدئية التي أسس عليها العلامة الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح نظريتة اللسانية الخليلية الحديثة وهذا في معرض حديثه على ثنائيتي الوضع والاستعمال، هذا المفهوم الذي اشتغلت عليه الدراسات اللسانية القديمة والحديثة باحثة فيه عن الحقائق اللغوية في واقع التخاطب دون غيرها. فما هو رصد الحاج صالح لهذا المفهوم وما كيفيات استعماله؟

الكلمات المفتاحية: المشافهة؛ الاستعمال؛ الفصحية؛ العفوية؛ الحاج صالح

Abstract:

This article aims to study the conceptual status of orality and its forms, As one of the basic conceptual of the linguistics Khalilian theory of Abdel Rahman Al-Haj Saleh.

Key words : Oraity; Usage; Athentic; Spontaneity; elhadj saleh

تمهيد :

نشهد في السنوات الأخيرة بروز عدة نظريات لغوية على الساحة العربية، فقد تكاثرت المحاولات الداعية بتجديد النحو وتيسيره وتعددت المؤلفات وتنوعت المناهج، كما تنوعت أيضا المصطلحات؛ كالإحياء والتبسيط والتجديد والتيسير وغيرها[1]

ويرى صالح بلعيد أنه نتج عن هذه الاجتهادات ظهور ثلاثة اتجاهات في التعامل مع الدرس اللغوي بشكل عام، فأي اتجاه ينتمي إليه الأستاذ الحاج صالح؟:[2]

الاتجاه الأول: يدعو إلى هدم ما توصل إليه النحاة الأولون، فهم يرون أن قواعدهم صعُبت على المتكلمين مما يسبب توترا لديهم إن كانوا على صواب أو كانوا على خطأ، وهذا مثل ما فعله إبراهيم مصطفى وأحمد عبد الستار الجواري ومهدي المخزومي وشوقي ضيف وسواهم، فظلوا يؤكدون على ضرورة بناء نحو جديد.

الاتجاه الثاني: دراسة النظرية اللغوية العربية القديمة عن طريق أحد المناهج الغربية الحديثة، وهذا مجرد إسقاط للمحتوى اللساني الغربي الحديث على المحتوى اللساني العربي القديم ، يؤدي في الأخير إلى تحميل النص العربي ما لا يتحمله، لأن للدرس العربي منطقه الخاص، ويسير في هذا الاتجاه كل من؛ عبد القادر الفاسي المهري وداود عيد والطيب البكوش.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التوفيقي الذي جمع بين المناهج اللغوية الحديثة ونظرية النحو العربي، ونجد فيه انجازات عبد القادر المهيري في (نظريات ابن جني النحوية)، وتأتي النظرية الخليلية الحديثة[3] لعبد الرحمن الحاج صالح، ضمن هذا الاتجاه محاولة الجمع "بين الأصالة القديمة ممثلة في استيحاء أفكار ومفاهيم الخليل وسيبويه، والحداثة ممثلة في ما يتألف ويتقارب من تلك الأفكار والمفاهيم، مكونة بذلك نظرية متماسكة، قديمة في أصولها حديثة في منهجها وتوجهها العلمي التكنولوجي، لها

مفاهيمها العلمية التي تكون كفايتها العلمية، ومبادؤها الأساسية التي تكون كفايتها المراسية أو التطبيقية بصفة عامة."[4]

"ومن هنا فإن النظرية الخليلية الحديثة هي نظرية لسانية معاصرة تدعو إلى ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل، والنظر فيما تركه العلماء الأوائل المبدعون، وتفهم ما قالوه من الحقائق العلمية لفهم أسرار فقه اللغة العربية، وإجراء مقارنة نزيهة بين نظرية النحاة العرب الأولين والنظريات اللسانية الحديثة التي ظهرت في الغرب، مع تحيين الوقائع النحوية وفق التطورات الجبارة التي تعرفها التقنيات المعاصرة."[5]

فالأستاذ الحاج صالح كان متفتحا في فكره على المعتقدات والنظريات الفكرية اللغوية المختلفة سواء أكانت قديمة أم حديثة، عربية أم غربية، وهذا بشهادة العديد من الباحثين اللغويين الجزائريين والعرب، فهو لم يبق حبيس الدراسات العربية القديمة، كما أنه لم يبق أسير الانجازات الغربية الحديثة، بل يدعو إلى ضرورة الرجوع إلى ما تركه العلماء الأولون كالخليل بن أحمد وسيبويه، والتعمق فيه والنظر إليه نظرة جديدة، اعتمادا على ما توصل إليه البحث اللساني الحديث.

وعندما نقرأ كثيرا من كتب النحاة والقراء، لا سيما ما تعلق منها بالظواهر الصوتية، تطالعنا بين الحين والآخر عبارة طالما شغلت تفكير الباحثين ولفتت انتباههم ودفعتهم إلى التأمل فيها وهي مسألة المشافهة في الأداء اللغوي وعلاقتها بطبيعة اللغة.[6]

وكما هو معروف فقد خرج العلماء الأوائل إلى البوادي العربية لمشافهة العرب الفصحاء والأعراب الخلّص الذين ظلوا على فطرتهم الفصاحية وسمعوا ما كانوا يتداولونه من كلام حتى من غلمانهم ونسائهم وأصحاب المهن والحرف باختلافها[7].

وإنّ البحث اليوم عمّا كانت تتشافه به النّاس ليس موضوعا خاصا باللسانيات فحسب فهو سؤال قد يبحث فيه علماء التاريخ والأنثروبولوجيا، وعلماء الآداب الشعبية والفلكلور، وإنه لمجازفة بحثية كبيرة

عما تداولته ألسنة الناس وكيفيات هذا التداول في زمن يبعد علينا آلاف السنين[8]

إن هذا السؤال قد شغل فكر العلامة عبد الرحمان الحاج صالح الذي يرى أنه"قد تناساه مع الأسف المتأخرون منهم إلى وقتنا هذا، كما تناسوا أن هذا الاستعمال هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريرا، فالمنطوق والمسموع هو في الأصل استعمال للغة والمكتوب فرع عليه"[9]

أوّلا: تعريف المشافهة:

لغة: جاء في لسان العرب: شفة: الشفتان من الأسنان، طبقا الفم، الواحدة شفةٌ منقوصة لام الفعل ولامها هاء. والشفةُ أصلها شفهة لأن تصغيرها شُفَيهةٌ والجمع شفاه بالهاء، وإذا نسبت إليها فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها وقلت شفيٌّ مثال دميٌّ ويديٌّ وعديٌّ ، وإن شئت شفهيّ. وزعم قوم أن الناقص من الشفة واو لأنّه يقال في الجمع شفوات. "قال ابن برِّي: المعروف في جمع شفة شفاه، مكسَّرا غير مسلَّم"[10]، ورجل شُفاهي بالضم عظيم الشفة وفي الصحاح غليظ الشفتين

وشافههُ: أدنى شفتهُ من شفته فكلّمهُ. وكلمّه مشافهة، جاءوا بالمصدر على غير فعله وليس في كل شيء قيل مثل هذا. لوقلت كلمته مفاوهة لم يجز، إنما تحكي من ذلك ما سمع. هذا قول سيبويه . الجوهري: المشافهة المخاطبة من فيك إلى فيه.والحروف الشفهية الباء والفاء والميم، ولا تقل شفوية وفي التهذيب، ويقال في للفاء والباء والميم شفوية وشفهية لأن مخرجها من الشفة ليس للسان فيها عمل. ويقال ما سمعت منه ذات شَفَةٍ، أي ما سمعت منه كلمة، وما كلّمته ببنت شفة أي بكلمة.

وشافهُ: أدنى شفتهُ من شَفَتِهِ. والشافه العطشان، وماء وطعام مشفوه كثرت عليه الأيدي. ورجل قليل الشفة ملحف قليل السؤال. ورجل أشفى (أشفه) لا تنضم شفتاه[11].

والعامة تقول الشِّفة بالكسر والتشديد. وربما كني بالشفة عن اللغة كما يكنى عنها باللسان. ج شفاه وشفوات.، وذلك باعتبار أصلها فإنه

عند الجمهور شفة فحذفت لامها وعوض عنها بالتاء كما حذفت لام سنه. وقال قوم أن لامها واو أي أن أصلها شَفْوٌ وجمعوها شفوات ...[12]

وفي باب الشين_في معجم العين جاء_في مستعملاته: شفو: شفا كلّ شيء حدّه وحرّفه، وجمعه أشفاء، وقيل شُفيٌّ وشفاه، إنك تقول شفا البئر وشفة البئر، والشّفا: ما بين الليل والنهار، عند غروب الشمس حيث يغيب بعضهما ويبقى بعضها. والشَّفَة: نقصانها واو، تقول شفةٌ وثلاثُ شفوات، وإذا أردت الهاء قلت: شفاه، والمشافهة مفاعلة منه[13].

شفهه شفها أصاب شفته، وألح عليه_في الطلب حتى استنفد ما عنده. شفِه الشيء: كثر طالبوه فهو مشفوه. شافهة مشافهة وشفاها: خاطبه متكلما معه والنسبة شفهي وشفوي ج شفاه[14]. شفة الإنسان: الجزء اللحمي الظاهر الذي يستر الأسنان وهما شفتان والجمع شفاه[15].

يظهر من خلال البحث المعجمي للفظة المشافهة أنها من الجذر اللغوي (شـ فـ ه) ولا مها هاء، وبعض يردّها واوًا، وتدور حول معان كثيرة متعلقة بالشفة أي طبقا الفم فتدل على الكلمة و الدنو أي الاقتراب والتكليم والمخاطبة من متكلّم إلى متلقي، كما تعني الشَغل وما كثرت عليه الأيدي والشفاه من أكل وشراب، كما كني بها عن اللغة كما يكنى عنها باللسان على رأي بطرس البستاني، وقد تعني حدّ الشيء أي طرفه والإلحاح_في الأمر و الإكثار أي الزيادة.

اصطلاحا:"المشافهة بالكلام: المواجهة من فيك إلى فيه، ذكره الخليل (ت170هـ) وواقفة ابن فارس (ت395هـ) وذكر الجوهري(ت393هـ): والمشافهة، المخاطبة من فيكك إلى فيه، وعند الزمخشري (ت538هـ): تقول العرب شافهته بحديثي، وجاء_في المحيط: وله شفة_في الناس أي ثناء، وحسب ما ورد_في القاموس المحيط: وشافهه أدنى شفته من شفته، وفي المعاجم الحديثة نجد: شافهه مشافهة وشفاها، خاطبه متكلما معه، وشافه الرجل الرجل، خاطبه وتكلم معه."[16]

"والمشافهة شكل من أشكال الاتصال المباشر الذي يحدث بين فردين أو عدّة أفراد في زمان ومكان محددين للتعبير عن الأفكار والمواقف بأسلوب واضح و مفهوم يناسب المستوى الذي يوجد فيه، وهي تتم وفق أربع عمليات متزامنة، الأولى عقلية وهي الفكرة والثانية لغوية وهي الأسلوب والثالثة صوتية وهي الكلام والرابعة ملحمية وهي الهيئة"[17]

وعليه فمصطلح المشافهة نجده يرتبط بالمعاني المعجمية الموجودة في المعاجم العربية القديمة والحديثة، فهو يدل على المواجهة والمباشرة والاتصال دون حائل.

ثانيا: مفهوم المشافهة عند الحاج صالح وكيفياتها

مفهوم المشافهة:

لقد عمدت الدراسات اللسانية التاريخية إلى التعامل مع اللغة باعتبارها صورة مكتوبة، إلى أن جاء القرن التاسع عشر بعد النهضة الأوروبية حيث بدأت الظاهرة الصوتية تأخذ موقعها خصوصا مع ما جاء به اللساني الشهير فرديناند دو سوسير والمدراس اللسانية التي تلته، والتي تسوغ حكمها هذا بأمرين اثنين هما:[18]

ـ أن اللغة المحكية أقدم وأوسع انتشارا من الكتابة.

ـ أنّ عودة أنظمة الكتابة كلها إلى وحدات وعناصر من اللغة المنطوقة أمر ثابت.

وهذا الحكم يفسره عبد الرحمان الحاج صالح بأنه نتيجة رد فعل عنيف ضد الأجيال السابقة من النحويين والمربين الذين كانت لا تهمهم إلا اللغة المحررة وخاصة اللغة الأدبية ولا يعتدون بلغة التخاطب العفوي التي هي في نظرهم مليئة بالأخطاء[19].

يرى علي منصوري أن مفهوم اللغة الشفاهية لدى اللغوين على ضربين:[20]

أولهما: عام يشمل كل أداء صوتي للغة سواء كانت عفوية أو أدبية، وهذا وفق التحديد المصطلحي المعتمد ويمثل لذلك برأي محمد العيد الذي يرى أن اللغة المنطوقة لا تقابل المكتوبة أو اللغة الفصيحة بالنظر إلى مستوياتها أو لهجاتها المحكية، إنما تعني الشكل الذي تنطق به .

ثانيهما: خاص يقيّدها على اللغة الاجتماعية التواصلية أو ما درج على تسميته بالعفوية، والتي يشترك فيها العوام والخواص من الناس، والتي تصدر عنهم في مواقف حياتية بسيطة، يترجمون فيها رغباتهم وحواراتهم العامة، دونما قيد.

لقد تناول عبد الرحمان الحاج صالح موضوع الأداء اللغوي -الذي نقصده هنا هو الكلام - في الكثير من المواطن البحثية له، السابقة واللاحقة لنظريته الخليلية، لكنه يظهر رأيه بوضوح فيما تعلق الأمر بمفهوم المشافهة في سياق سرده لأهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية، ولقد عبّر عن هذا المفهوم بمصطلح مادي نفعي ألا وهو الاستعمال.

إنّ الاستعمال الذي تحدث عنه الحاج صالح هو ما يقابل مفهوم الوضع في نظريته الخليلية، فإذا كان الوضع "نظاما من الأدلة المتواضع عليها"[21] فإن الاستعمال هو "استخدام لهذا النظام"[22]، ومن هذين التعريفين للوضع والاستعمال تظهر العلاقة بين اللغة بعدّها نظاما مجردا متفقا عليه مسبقا وهذا ما اصطلح عليه بالوضع، و اللغة بعدّها ممارسة يتخاطب بها الناس في مناسبتهم وسائر أحوالهم وهذا ما اصطلح عليه بالاستعمال.

فتعريفه للاستعمال يحيلنا إلى أنه استخدام للغة في المقام الأول، مهما كان هذا الاستخدام كتابيا أوصوتيا، فصيحا أو عفويا، وعليه يمكن أن نصنف تعريف الحاج صالح للغة في الاتجاه الأول الذي أشار إليه علي منصوري الذي يعتبر الشفاهية كل أداء صوتي للغة .

كيفيات الأداء الشفهي:

يرى عبد الرحمان الحاج صالح أن الكثير من معاصرينا قد أخطئوا وهم يبحثون في واقع لغة التخاطب، إذ حملوا اللغة الفصحى القديمة على الفصحى الحديثة، هذه الأخيرة التي تعد اليوم اللغة المشتركة وتقابلها العامية بمختلف لهجاتها، لذا فبالضرورة والقياس رأو أن الأمر نفسه ينطبق على اللغة القديمة التي لها مستويين أولهما أدبي مشترك وثانيهما تخاطبي مختلف من قبيلة إلى أخرى.[23]

ويمثّل لهذه الفكرة من خلال هذا الرسم:

الشكل 1: توهم المعاصرين بحملهم الفصحى القديمة على الفصحى الحديثة

اللغة المشتركة الثقافية الحالية اللغة الفصحى قديما لغة مشتركة

لغة التخاطب الحالية: العامية لغة التخاطب قديما اللهجات القديمة

لقد ردّ عبد الرحمان الحاج صالح على هذا الحمل وبيّن عدم حجيته في الكثير من المباحث اللسانية له. ووضّح أشكال الأداء الشفهي في مداخلة قدّمت لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام 1920، بعنوان اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، وخلص فيها إلى أن هناك استعمالين للغة العربية وهما التعبير الإجلالي والتعبير الاسترسالي، وكلاهما ضروري لاسترجاع العربية الفصحى مستواها الشفاهي الطبيعي[24].

المشافهة الفصيحة:

وهو ما قصده بمصطلح التعبير الإجلالي أي الاستعمال الفصيح للغة، وهي الفصحى الأدبية المشتركة العربية الكاملة نطقا وأداء وهي المعيارية في كل مستوياتها صوتية كانت أم صرفية أم إفرادية أم نحوية أم بلاغية، والتي عدّ الموروث منها عن العرب مثلا يحتذى به في علوم العربية جميعها.

إن هذه الممارسة للغة هي الممارسة المثلى لها إذ يتحمّل فيها المتكلم كل ضوابطها وحركاتها، وهذا الانضباط في الأداء اللغوي إنما هو

يراعي الظروف الرسمية التي تقيد لسانه بالتزام قواعد اللغة الفصحى فهيبة وجلالة السياق الرسمي لها أثرها البليغ في الاستعمال.

المشافهة العفوية:

وهو ما أشار إليه بالتعبير الاسترسالي أو التخاطب العفوي، وهو جانب هام جدا أغفل اليوم في التعليم المدرسي، فقد كان العرب في أحاديثهم اليومية العادية، يختزلون ويحذفون ويدغمون ويختلسون، وسمّي عندهم ذلك الإدراج[25].

ويقول في موضع آخر: [26]

"لغة التخاطب في جميع لغات الدنيا وفي كل زمان تتصف بالخفة الكبيرة من حيث الأداء ومن حيث مادة الكلام وهذا يقتضي أن يكثر فيها الاختزال والاختصار بالحذف والقلب والإدغام واختلاس الحركات وغير ذلك ولا يمكن أن يكون التخاطب اليومي العفوي إلا هكذا"

"وعلى هذا لا يتصور أن يتكلم العرب عفويا يوميا كما يرتل القرآن أو يخطب الخطيب أو كما تنشد الأشعار..."

"وإن كان هذا التخاطب اليومي يقتضي الخفة والاقتصاد الكبير فهذا لا يغير النظام اللغوي في جوهره وقوانين هذا النظام..، لأن لغة التخاطب عند الفصحاء هي نفس اللغة الفصيحة التي كانوا ينظمون بها أشعارهم إلا أن كيفية استعمالها تختلف كما تختلف حالة الأنس عن حالة الانقباض"[27].

ويمكن أن نوضح رؤية عبد الرحمان الحاج صالح لكيفيات الأداء الشفهي في الرسم الآتي:

الشكل 2: كيفيات الاستعمال الشفهي عند الحاج صالح

الأداء الشفهي = أداء فصيح: (مقيد صوتيا ونحويا وبلاغيا) / أداء عفوي: (حر يختزل ويختصر ويختلس)

خاتمة:

بعد أن بحثنا مفهوميا عن المشافهة واستعمالاتها من منظور النظرية الخليلية الحديثة لصاحبها عبد الرحمان الحاج صالح خلصنا إلى النتائج الآتية:

أولى الحاج صالح اهتماما بالغا بالجانب الشفهي للغة بخلاف الدراسات التقليدية وبعض الدراسات الحديثة التي ركزت اعتناءها على الجانب التحريري من اللغة. الأمر الذي غيب الكثير من الحقائق العلمية اللسانية التي تميّز اللغة باعتبارها ممارسة لغوية ـ في الأصل.

تفرّده ـ في اعتبار الاستعمال استخداما للغة بوجه عام تحريرا كان أو مشافهة ، إذ لم يقصره على الأداء الشفهي فحسب.

يعتبر الحاج صالح أن اللغة لها استعمالين يتمثلا ـ في الاستعمال الفصيح والاستعمال العفوي ولكل واحد منهما صفاته و مقامه الذي يميّزه عن الآخر. كما يبرز الفارق الموجود بينهما وهو حسبه يكمن ـ في ما يمكن أن نسميه معيار الإجلال والاسترسال.

يؤكد الحاج صالح على فكرة الاتصال الوثيق بين اللغة اليومية التي مارسها العرب قديما واللغة الفصيحة أو ما اصطلح عليها باللغة المشتركة، ردّا على الذين توهموا بوجود لغة يومية تختلف اختلافا كبيرا ـ في نظامها عن نظام اللغة الفصيحة، إنما هي ـ في الحقيقة والواقع وجه عفوي ومخفف لها لبساطة المقام وتيسير شؤون الناس ـ في ممارستهم وتعاملاتهم الطبيعية المتكررة.

الهوامش والإحالات:

[1]- ينظر: خالد بن عبد الكريم بسندي: "محاولات التجديد والتيسير في النحو العربي (المصطلح والمنهج: نقد ورؤية)"، الخطاب الثقافي، جامعة الملك سعود، الرياض، 2008م، ع3، ص57.

2- ينظر: صالح بلعيد، مقالات لغوية، دار هومة، د ط، بوزريعة، الجزائر-2003، ص37،38,

3- وهي نظرية تشّرف بعرضها لأول مرة عام 1979م. ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص208.

4- يحي بعيطيش: "الكفاية العلمية والتعليمية للنظرية الخليلية الحديثة"، التواصل، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، مارس 2010م، ع25 مارس، ص77.

5- صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، دار هومة، دط، بوزريعة، الجزائر، 2003م، ص106.

6- أبو بكر حسيني: عامل المشافهة في الآداء اللغوي، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح (ورقلة، الجزائر)، ع4، ماي2005. ص306.

7- علي منصوري: اللغة العربية في المشافهة اليومية، ألفا للوثائق، ط1، عمان، الأردن، 2020، ص22، 23.

8- علي منصوري: اللغة العربية في المشافهة اليومية، ص22، 23.

9- الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص81.

10- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تح: عبد الكريم العزباوي، تاج العروس ، 1422 هـ/2001م، ، ج36، ص415،416.

11- ابن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط،(تح:محمد نعيم القرسوعي) مؤسسة الرسالة ، ط8 ،بيروت، لبنان،1426ه-2005م،ص1248

12- بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت لبنان، ط ج، 1987، ص 487-488.

13- عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاحم والفهارس، ج6 ص288

14- مجمع اللغة العربية: الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 1425 هـ/2004م، 487-488.

15- مجمع اللغة العربية: الوجيز، ط 1،مصر، 1400هـ/1980، ص347.

16- علي منصوري: اللغة العربية في المشافهة اليومية، ط1، ألفا للتوثيق، عمان، الأردن،2020، ص30، 31.

17- حمو لبيك: المشافهة واكتساب اللغة، التعليمية، م5، ع14، جامعة سيدي بلعباس 2018، ص434.

18- فيلي ساندرس: نحو نظرية أسلوبية لسانية، ط1، تر: خالد محمود جمعة، دار الفكر، 2004، ص73.

19- الحاج صالح: بحوث دراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص64،65.

20- علي منصوري: اللغة العربية في المشافهة اليومية، ص32،33.

21- الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2007،ص90.

22- الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات، ج2، ص90.

23- الحاج صالح: السماع اللغوية العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر، الجزائر، 2007،ص174.

24- اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، فيلاديلفيا الثقافية، منشورات جامعة فيلاديلفيا، المملكة الأردنية الهاشمية، 2010م، ع6.

25- الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص64.

26- الحاج صالح: السماع اللغوية العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص174.

27- الحاج صالح: السماع اللغوية العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص178.

مصطلحات ومفاهيم أساسية في النظرية الخليلية لعبد الرحمان الحاج صالح

Basic terms and Concepts of Hebronite theory

سهام بن ريغي ـ طالبة دكتوراه
أ.د إسماعيل سيبوكر
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب
جامعة ورقلة
sihembenrighi@gmail.com

الملخص:

تعدّ النظرية الخليلية قراءة جديدة للتراث اللغوي العربي الأصيل تحديدا عند "الخليل" وتلميذه "سبويه" في ضوء النظريات اللسانية الحديثة؛ بغية المقاربة بين المفاهيم التراثية ونظيرتها الغربية. ومن خلال موضوع بحثنا الموسوم ب"مصطلحات ومفاهيم في النظرية الخليلية"، سنحاول عرض أهم المصطلحات والمفاهيم في النظرية.

الكلمات المفتاحية: النظرية الخليلية ، المصطلح ، المفهوم ، عبد الرحمان الحاج صالح ، أسس النظرية الخليلية.

Abstract:

Hebronite theory is considered as a new reading of the original Arab linguistic heritage, specifically by "Al-Khalil" and his student "Sibawayh" in light of modern linguistic théories. In order to bridge the traditional concepts and their western counterparts. Through the topic of our research marked "Terms and concepts in the theory of Hebron", we will try to present the most important terms and concepts in this theory.

Key words: Hebronite theory ; the term ; concept ; Abdul Rahman Hajj Salah ; Foundations of the Hebronite theory.

1-مقدمة:

اتّجه العديد من الباحثين اللسانيين المحدثين إلى التراث اللغوي القديم قراءة وتمحيصا، لما يحمله من قضايا لسانية مهمّة استفاد منها البحث اللساني في العصر الحديث.

هذا ما جعل الباحث الجزائري عبد الرحمان الحاج صالح يولي أهمية كبيرة للنظرية الخليلية؛ إذ حاول من خلالها الجمع المفاهيم التراثية ونظيرتها الغربية، ليكشف لنا قيمة هذه النظرية وتوجيهها حسب ما يناسب اللغة، والفكر، والمفاهيم اللسانية العربية.

وكأيّ دراسة انطلق الحاج صالح من أسس ومفاهيم في قراءته وتأصيل أفكاره، ووردت عنده مصطلحات عديدة سنحاول بسطها.

2-النظرية الخليلية:

هي نظرية لسانية حديثة تستقي مفاهيمها من التراث النحوي العربي لعلمائنا الأوائل، نخصّ بالذكر الخليل بن أحمد، ويتحدّث الحاج صالح عن فكرة تأسيس هذه النظرية فيقول:« وقد حاولنا منذ ما يقرب ثلاثين سنة أن نحلّل ما وصل إلينا من تراث فيما يخصّ ميدان اللغة، وبخاصّة ما تركه لنا سبويه وأتباعه ممن ينتمي إلى المدرسة الخليلية، وكلّ ذلك بالنظر في الوقت نفسه فيما توصّلت إليه اللسانيات الغربية ..»[1].

يتّضح من خلال القول اهتمام الحاج صالح بالتراث ، واشتغاله عليه ومدى حرصه على تحليله، ومحاولة ربطه بالمفاهيم اللسانية الحديثة، كما تتبيّن مدى أهمية النظرية، وكيفية استثمارها في شتّى الميادين والمجالات بقوله:« وقد صارت النظرية منذ ذلك الوقت العماد النظري اللغوي لعدة دراسات قام بها باحثون من مختلف الآفاق العلمية »[2].

3-المصطلح والمفهوم:

يعدّ المصطلح الدعامة الأساسية لأي علم من العلوم، وهو قديم في غايته وموضوعه، متجدّد في وسائله ومناهجه؛ إذ يمثّل نقطة الانطلاق لدراسة أيٍّ علم، بل هو من يحدّد المجال المعرفيَّ له.

1.3-تعريف المصطلح:

إذا ما أردنا تقفّي لفظ "المصطلح" في الأدبيات العربية، ألفيناه من الناحية اللغوية مردّه للجذر (صلح)، فقد ورد في لسان العرب:« صلح: الصَّلاح: ضدُّ الفساد يصْلَح ويصْلُح صلاحاً وصلوحاً...وقد اصطَلَحوا وصالحوا وأصْلَحوا وتصالحوا واصّالحوا...معنى واحد.»[3] ، وفي السياق نفسه جاء في المعجم الوسيط:« صلاحًا وصلوحًا: زال عنه الفساد.»[4]. و(اصطلح) القوم:« زال ما بينهم من خلاف. وعلى الأمر: تعارفوا واتفقوا (تصالحوا): اصطلحوا.»[5].

أما المصطلح من الوجهة الاصطلاحية فأقدم تعريف له عند العرب ورد عند الجرجاني يقول:« الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما، ينتقل عن موضعه الأول.»[6].وقيل هو:«اللفظ أو الرمز اللغوي الذي يستخدم للدلالة على مفهوم علمي أو عملي أو فني أو أيّ موضوع ذي صيغة خاصة»[7].في المقابل عند الغرب نجد أقدم تعريف للمصطلح هو: «الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو كلمة مركبة استقرّ معناها، أو بالأحرى استخدامها وحدّد في وضوح، هو تعبير خاص ضيّق في دلالته المتخصّصة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى »[8]. نستأنس مما سبق ذكره بأنّ المصطلح أو الاصطلاح يعني انتقال اللفظة من الدلالة المعجمية العامة، إلى دلالة أخرى أكثر تخصّصا وتضييقا مع وجود علاقة تربط المعنى الأول بالمعنى الثاني، شرطه اتفاق أهل التخصّص.

2.3-تحديد المفهوم:

المفهوم جزء من المصطلح أو كما يقول الكفوي هو:« الصورة الذهنية سواء وضع بإزائها اللفظ أو لا..، وقيل: هو ما دلّ عليه اللفظ لا في محلّ

النطق»[9]، بحيث ينطلق واضع المصطلح من المفهوم لتحديد المصطلح، بناءً على عدّة سمات يتميّز بها؛ إذ إنّ المفهوم يسهم بشكل كبير في إزالة الغموض الذي قد يحدث بين مجموعة من الوحدات اللغوية التي تقع في نطاق عديد المجالات العلمية، مما يصعّب في التمييز بين مختلف المجالات المعرفية، فلولا المفهوم لما أمكن التمييز بين مصطلحات العلوم المختلفة «فالمفهوم لا يتّخذ حيّزه في الذهن ولا يتمثّل إلاّ إذا انتمى إلى نظرية علمية تحدّده، وتكوُّنه مرتبط بتكوُّن تلك النظرية التي يندرج فيها، وكذلك المصطلحات فإنّها لا تتولّد قبل المفاهيم لأنّ المصطلح في العلم ينشأ عن المفهوم »[10].

4-عبد الرحمان الحاج صالح:

الباحث الجزائري ابن مدينة وهران، درس في مصر وبوردو وباريس، تحصّل على التبريز ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس، شغل منصب أستاذ بكل من جامعة الرباط، وجامعة الجزائر ثمّ مديرا لمعهد العلوم اللسانية، ثمّ رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م.

لديه العديد من الأعمال جمعت في مجلدات تخصّ اللسانيات العربية، ومن أهم ما في بحوثه قضية النظرية الخليلية الحديثة، والتي يُعتمد عليها في مجال المعالجة الآلية للنصوص العربية في الحاسوب، وصاحب مشروع الذخيرة اللغوية.

5- أسس ومفاهيم النظرية الخليلية:

ينطلق الحاج صالح في قراءته للتراث وتأصيله للنظرية الخليلية الحديثة من مبدأ أنّ التراث اللغوي العلمي الأصيل جزءٌ منّا، وإنّه لمن التعسّف الاعتماد على بعض النظريات اللسانية الغربية التي تجاوزها الزمن[11]، فالتّراث-حسبه- لا يفسّره إلّا التراث، ومن أهم المفاهيم نذكر:

1.5-**مفهوم الاستقامة :** يرتبط مصطلح الاستقامة بمستويين هامّين لا ينفصل أحدهما عن الآخر هما مستوى التركيب(اللفظ) ومستوى المعنى؛ إذ إنّ سلامة التركيب النحوي تقتضي بالضرورة مراعاة جانب المعنى، وقد أشار

سبويه إلى ذلك بقوله:« هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب.»[12].

ويرى الحاج صالح بأنّ النحاة العرب كانوا يميّزون في تحليلهم للبنى بين التحليل اللفظي النحوي والتحليل الدلالي ويبرز ذلك جليّا من خلال قول سبويه:«فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا (..)، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل(..)، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: ..كي زيدا يأتيك(..)، وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس.»[13].

فمفهوم الاستقامة يتعلق بالعلاقة بين اللفظ والمعنى؛ إذ المستقيم الحسن يكون سليم التركيب النحوي مع مراعاة جانب المعنى، أمّا المستقيم القبيح والمستقيم المحال ، يكون سليما من جانب التركيب غير سوي من جانب المعنى، ويقابل المحال الكذب عدم مراعاة لا الجانب النحوي، ولا الجانب الدلالي.

2.5- **مفهوم الإنفراد وحدّ اللفظة والكلمة :** ينطلق الحاج صالح في تحديده للإنفراد من قول الخليل بلسان:«إنّه لا يكون اسم مظهر على حرف أبدًا لأنّ المظهر يسكت عنده وليس قبله شيء ولا يلحق به شيء.»[14]، وكلّ ما ينفصل ويبتدأ هي صفة الإنفراد أو الاسم الفرد، وهو النواة أو الأصل الذي تتفرع عليه الزوائد الأخرى.

كما أنّه يعتمد في تحديده الحدود الحقيقية على اللفظ أوّلًا ولا يحتاج إلى أي افتراض مثلما يفعله التوليديون[15]، وعليه يتحدّد حدّ اللفظة بأنّه:«القطعة التي لا يمكن أن تتفرّد أجزاؤها»[16]، وتتّسم هذه القطعة أو النواة بقابليتها للتوسع بالزيادة يمينا، ويسارا وهذا التحويل بالزيادة هو الذي يحدّد الوحدات في النظرية الخليلية، كما أنّ التحليل حسب هذه النظرية لا يفصل بين المحور التركيبي Axe syntagmatique، ومحور الاستبدال بحيث يُنظر إليها كمجموعة مع مراعاة الترتيب التركيبي الذي ينتقل من الأصل إلى الفروع والعكس[17].

ويميّز الحاج صالح بين الكلمة واللفظة «كون الكلمة في عرف النحاة أدنى عنصر تتكون منه اللفظة»[18]، وتتسّم بكونها عنصرا دالّا يمكن حذفه دون أي تغيير للعبارة كحذف حروف الجر.

3.5-**الموضع والعلامة العدمية:** يعرف الموضع بكونه:«الحيّز في البنية الذي يشغله عنصر معيّن، ويمكن أن ينعدم هذا العنصر تماما»[19]، والموضع إمّا أن يكون على مستوى الكلمة المفردة؛ أي مكان الحروف في الكلمة، أو مكان الكلمة في التركيب(الجملة)، فإذا خلا الموضع من العنصر سميّ موقع الفراغ بالعلامة العدميّة(Expression zéro)، ومفهوم العلامة العدمية كما تشير خولة طالب الإبراهيمي مقتبس من المجموعة الفارغة المستعمل في الرياضيات(Ø)، والعلامة العدمية تعني «أنّ الكلمة موجودة بمعناها ولكن مختفيّة غائبة في مظهرا اللفظي المحسوس، ويظهر ذلك عند مقابلتها(الاستبدال)؛ إذ يظّل موقعها فارغا يرمز له بالعلامة العدمية»[20].

ويرى الحاج صالح بأنّ المواضع التي تتّخذها الكلمات هي خانات تحدّد بتحويلات بالزيادة أي الانتقال من الأصل إلى الفروع، وأنّ كلّ تحويل بالزيادة له ما يقابله وهو عند النحاة «ردّ الشيء إلى أصله»[21]، وفي هذه العمليات يتحدّد موضع كلّ عنصر، وللإشارة فإنّ المواضع تحوم حول النواة أو الأصل.

4.5-**مفهوم العامل:** نظرية العامل عماد النحو العربي وأكثر الموضوعات إثارة للجدل والمناظرة، يعرّفه الجرجاني بقوله: «العامل ما أوجب كون آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب»[22]، ويرتبط في النظرية الخليلية الحديثة بالمستوى التركيبي للجملة، وهو المحرك الأساس لعناصرها والموجّه لعلاقاتها، وكذا إسناد الحركات الإعرابية المناسبة لها.

كما يرى الحاج صالح بأنّ النحاة ينطلقون من العمليات الحملية؛ أي يحمّلون أقل الكلام ممّا هو أكثر من لفظة باتخاذ أبسطه وتحويله بالزيادة، مع إبقاء النواة، كما أنّهم لاحظوا بأنّ الزوائد على اليمين تؤثر لفظًا ومعنىً، بل هي تؤثر على بقية التركيب[23]، ويبرز ذلك في أواخر الكلم (الإعراب) وهذا ما أشار إليه الجرجاني في حدّ العامل، ويمكن التمثيل لذلك:

Ø العدمية	زيدٌ قائمٌ	← العامل هنا يمثل العلامة
إنّ	زيدًا قائمًا	← العامل ظاهر (إنّ)

6-الخاتمة:

وخلاصة ما توّصل إليه البحث من نتائج نجملها في النقاط التالية:

ـ حرص الحاج صالح على ربط الماضي بالحاضر فلم يكن مجرّد ناقل أو مقلد، بل أحيا التراث النحوي القديم، وما يميّزه استخدامه لمصطلحات عربية أصيلة.

ـ فنّد الحاج صالح آراء المحدثين التي تتهم النحو العربي بالصعوبة والغموض خاصة نظرية العامل؛ إذ يقرّ أن الدرس النحوي وما يمتلكه من مصطلحات ينمّ عن تفكير علمي عميق ورياضي.

ـ انطلق الباحث من قناعته بأن قراءة التراث يجب أن تكون بالتراث لا بإسقاط المقولات الغربية، محاولا إيجاد جامع يجعل الدرس اللساني درسا عربيا بامتياز، حيث قدّم نظرية منبعها التراث الأصيل يمكن الاستفادة منها في عديد المجالات.

ـ بنى الحاج النظرية الخليلية الحديثة بمفاهيم ومصطلحات منبعها التراث، حيث جاهد لاستثمارها بما يخدم البحث اللساني العرب.

7-الهوامش والإحالات:

[1]-عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012 م، ج1، ص: 208.

2-المرجع نفسه، ص: 208

3- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور: لسان العرب،، دار صادر، بيروت، مج2، د س، ص: 516.

4- إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط4، 2004م،ص: 520.

5- المصدر نفسه، ص: 520.

6- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د س، ص: 27.

7-إبراهيم كايد محمود: المصطلح ومشكلات تحقيقه، التراث اللغوي ،العدد97،(1425ه/2005م)، ص:27.

8-فريد عوض حيدر: فصول في علم اللغة التطبيقي، مكتبة الآداب، القاهرة،(1429ه/2008م)،ص: 9.

9-أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أعدّه: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة،(بيروت-لبنان)، ط2،(1419ه/1994م)، ص: 860.

10-إبراهيم بن مراد: مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1997م، ص: 80.

11-ينظر: المرجع نفسه، ص: 92.

12-أبو بشر عثمان بن قنبر : الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخفاجي، ط3،(1408ه/1998م)، ج1،ص: 25.

13-المصدر نفسه، ص: 26.

14-سبويه: الكتاب، ج2، ص: 304.

15-ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 219.

16-المرجع نفسه، ص: 220.

17-المرجع نفسه، ص : 220-221.

18-المرجع نفسه، ص: 221.

19-عبد الرحمان الحاج صالح: الأسس العلمية لتطوير اللغة العربية، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 170.

20-خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، ط2، 2000م، ص:92.

21-عبد الرحمان الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 221.

22-علي السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، ص: 122.

23-الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص: 222